الفصل الرابع

منتخبات من آثار ابن زيدون

١ — نماذج الغزل

حنين

نظم ابن زيدون هذه القصيدة النادرة المثال بعد خروجه من السجن وقبل صدور العفو عنه ، يعبر فيها عن حنينه وشوقه لرؤية محبوبته ولادة ، ويذكر لها أنه لا يزال وفياً بعد هجرها ، ويتحدث حديث الملتاع عن أيام وصلها الذى لا يستطيع أن ينساه . ويقول ابن بسام إن جماعة عارضوه فيها فقصروا عنه ، وعارضها شوقى على نحو ما مر فى غير هذا الموضع ، وهى تجرى على هذا النمط :

أَضْحَى التَّنائى بديلاً من تدانينا ... ونابَ عن طيب لُقْيانا تجافينا

هَلَّا[1] وقد حان صُبْحُ البَيْنِ صَبَّحنا ... حَيْنٌ[2] فقام بنا للحَيْن ناعينا

من مُبْلِغ المُلْبِسِينا بانتزاحهمُ ... حُزْناً مع الدهر لا يَبْلَى ويُبْلِينا

أنَّ الزمان الذى ما زال يُضْحكنا ... أُنْساً بقربهمُ قد عاد يُبْكينا

غِيظَ العِدَى من تَسَاقينا الهوى فدعَوْا ... بأن نَغَصَّ[3] فقال الدَّهْرُ آمينا

فانحلَّ ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبتَّ ما كان موصولاً بأيدينا

وقد نكون وما يُخْشَى تَفَرُّقُنا ... فاليوم نحن وما يُرْجَى تلاقينا

يا ليت شعرى ولم نُعْتِبْ[4] أعاديَكم ... هل نال حَظًّا من المُعْتِبى أعادينا

---

(١) هلا : كلمة تحضيض مركبة من هل ولا ؛ فإن دخلت على الماضى كانت للوم على ترك الفعل وإن دخلت على المضارع كانت للحث على الفعل .

(٢) الحين : الموت .

(٣) غص بالماء : شرق به ويقال شرق بالماء أو باللمع ، وشجى بالعظم ونحوه .

(٤) نعتب : نرضى ، من العتبى وهى الرضا .

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ... رأيا ولم نتقلّد غيره دِينا

ما حَقَّنا أن تُقِرُّوا عَيْنَ ذى حَسَدٍ ... بنا ولا أن تَسُرُّوا كاشِحًا[1] فينا

كُنَّا نرى اليأسَ تُسْلينا عوارضُهُ ... وقد يَئِسْنا فما لليأس يُغْرِينا

بِنْتُمْ[2] وبِنَّا فما ابتلَّتْ جوانِحُنا[3] ... شَوْقًا إليكم ولا جَفَّتْ مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرُنا ... يَقْضِى علينا الأسى لولا تَأَسِّينا[4]

حالت[5] لفقدكمُ أيامُنا فغدَتْ ... سوداً وكانت بكم بِيضاً لياليا

إذْ جانبُ العَيْش طَلْقٌ من تَأَلُّفِنَا ... ومَوْرِدُ اللَّهْوِ صافٍ من تَصَافينا

وإذ هَصَرْنا[6] غُصُون الوَصْل دانيةً ... قُطُوفها[7] فجنينا منه ما شِينا[8]

ليُسْقَ عهدكمُ عهدُ السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلاَّ رياحينا

لا تحسبوا نَأْيكم[9] عنا يُغَيِّرنا ... إن طالما غيَّر النَّأْىُ المحبِّينا

والله ما طلبتْ أهواؤنا بَدَلًا ... منكم ولا انصرفَتْ عنكم أمانينا

ياسارىَ البرقْ غادِ[10] القَصْرَ فاسْقِ به ... من كان صِرْف الهوى والوُدِّ يَسْقينا

واسأل هنالك هل عَنَّى[11] تَذَكُّرُنا ... إلْفاً ، تذكَّرُهُ أَمْسَى يُعَنِّينا

---

(١) الكاشح : العدو .

(٢) بنتم : بعدتم .

(٣) الجوانح : الضلوع والمراد ما بداخلها من القلب والحشا .

(٤) التأسى : التصبر والتعزى .

(٥) حالت : استحالت .

(٦) هصرنا : أملنا ، والاستعارة واضحة إذ شبه الوصل بشجرة .

(٧) القطوف : الثمار التى تجنى وتقطف .

(٨) شينا : مخففة من شئنا .

(٩) النأى : البعد والفراق .

(١٠) غاد : باكر .

(١١) عنى : شغل .

ويا نسيمَ الصَّبا بَلِّغْ تَحِيَّتَنا ... من لو على البُعْدِ حَيَّ كان يُحيينا

فهل أرى الدهر يقضينا مُسَاعفَةً ... منه وإن لم يكن غِبًّا[1] تقاضينا

ربيبُ مُلْكٍ كأن الله أنشأَهُ ... مِسكاً وقدَّر إنشاء الورَى طينا

أو صاغه وَرِقًا[2] مَحْضاً وتَوَّجَهُ ... من ناصع التِّبْرِ إبداعاً وتَحْسِينا

إذا تأوَّد[3] آدَتْهُ[4] رَفاهيـــةً ... تومٌ[5] العقود وأدمته البُرَى[6] لينا

كانت له الشمسُ ظِئْراً[7] في أَكِلَّتِهِ[8] ... بل ما تجـــلَّى لها إلاَّ أحايينا

كأنما أُنْبِتَتْ في صَحْنِ وَجْنَتِهِ ... زُهْرُ الكواكب تَعْوِيذاً[9] وتَزْيينا

ما ضرَّ أن لم نكن أكْفاءه شرفاً ... وفي للـــودَّة كافٍ من تكافينا

يا روضةً طالما أَجْنَتْ لواحِظَنا ... وَرْداً جلاهُ الصَّبا غَضًّا ونِسْرينا[10]

ويا حيـــاةً تَمَلَّيْنا[11] بزَهْرَتِها ... مُنًى ضروباً ولذاتٍ أفانينا

---

(١) الغب فى الزيارة : الإقلال ، قال ابن الوردى :

غب وزر غبًّا تزد حبـا فمن ... أكـثر الترداد أضنـاه الملـل

وهو مأخوذ من قول القائل :

فإن شئت أن تلقى فزر متواتراً ... وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا

(٢) الورق : الفضة .

(٣) تأود : تثنى .

(٤) آدته : أثقلته .

(٥) توم : لآلىء مزدوجة وواحدتها : تومة ، وجمعها : توم بفتح الواو وإسكانها . قال شوقى :

دع عنك رومـا وآثينا وما حوتا ... كل اليواقيت فى بغداد والتوم

(٦) البرى : الخلاخيل .

(٧) الظئر : المرضعة .

(٨) أكلة : جمع كلة وهى ستر الفراش .

(٩) التعويذ : الرقية .

(١٠) النسرين : نوع من الورد أبيض الزهر عطر .

(١١) تملينا : تمتعنا .

ويا نعيما خَطَرْنا من غضارته[١] ... فى وشْيِ[٢] نُعْمَى سَحَبْنا ذَيْلَه حِينا

لَسْنا نُسَمِّيكِ إجلالاً وتكرِمَةً ... وقَدْرُكِ المُعْتلى عن ذاك يُغْنينا

إذا انفردْتِ وما شُورِكْتِ فى صِفَةٍ ... فَحَسْبُنا الوصف إيضاحاً وتَبْيينا

يا جَنَّةَ الخُلْدِ أُبدِلْنا بسَلْسَلِها[٣] ... والكَوْثَرِ[٤] العذبِ زَقُّوماً[٥] وغِسْلينا

كأننا لم نَبِتْ والوَصْلُ ثالُثنا ... والسَّعْدُ قد غَضَّ[٦] من أجْفانِ واشينا

سِرَّان فى خاطر الظَّلْماء يَكْتُمُنا ... حتى يَكادَ لسانُ الصُّبْحِ يُفْشِينا

لاغَرْوَ فى أنْ ذكرنا الحُزْنَ حين نَهَتْ ... عنه النُّهَى[٧] وتركْنا الصبر ناسِينا

إنا قرأنا الأسَى يوم النَّوَى سُوَراً ... مكتوبةً وأخذنا الصَّبْرَ تَلْقِينا

أما هواكِ فلم نَعْدِل بمَنْهَلِه ... شِرْباً وإن كان يُرْوِينا فيُظْمِينا

لم نَجْفُ أُفْقَ جمالٍ أنت كوكبُهُ ... سالين عنه ولم نَهْجُرْهُ قالينا[٨]

ولا اختياراً تجنَّبْناه عن كَثَبٍ ... لكن عَدَتْنا[٩] على كُرْهٍ عوادينا

نَأسَى عليكِ إذا حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً ... فينا الشَّمولُ[١٠] وغنَّانا مُغَنِّينا

لا أكْؤسُ الرّاحِ تُبْدى من شمائلنا ... سِيما ارتياحٍ ولا الأوتارُ تُلْهِينا

---

(١) الغضارة : خفض العيش .

(٢) الوشى : ثوب من الحرير منقوش .

(٣) السلسل : الماء العذب البارد .

(٤) الكوثر : نهر فى الجنة .

(٥) الزقوم والغسلين . طعامان من أطعمة أهل النار .

(٦) غض : خفض .

(٧) النهى : جمع نهية وهى العقل .

(٨) قالين : كارهين .

(٩) عدتنا : صرفتنا ، والعوادى : صروف الدهر .

(١٠) الشمول : الخمر ، ومشعشعة : ممزوجة بالماء .

دُومى على العَهْد، ما دمنا، مُحافظةً ... فالحرُّ من دَانَ[1] إنصافاً كما دِينا
فما اسْتَعَضْنا خليلاً منكِ يَحبِسُنا ... ولا اسْتَفَدْنا حبيباً عَنْكِ يَثْنينا
ولو صَبَا نحونا من عُلْوِ مطلَعِهِ ... بَدْرُ الدُّجَى لم يكن حاشاكِ يُصْبينا[2]
أولِى[3] وفاءً وإن لم تَبْذلى صلةً ... فالطيف يُقْنِعنا والذكْرُ يكْفينا
وفى الجواب متاعٌ لو شَفَفْتِ به ... بيضَ الأيادى التى ما زلتِ تُولينا
عليكِ منِّى سلامُ الله ما بَقِيتْ ... صَبابةٌ منكِ نُخْفِيها فتُخْفِينا

عمق الهوى

هذه إحدى مقطوعاته التى نظمها بعد هجر صاحبته ؛ وهو فيها يذوب شوقاً ولوعة، ويتمنى لوعاد الرضا والوصال ؛ يقول .

إليكِ من الأنام غدا ارتياحى ... وأنتِ على الزمان مَدَى اقتراحى
وما اعترضتْ هموم النفس إلاّ ... ومن ذكراكِ رَيْحانى ورَاحِى
فَدَيْتُكِ إنَّ صَبْرِى عنك صَبْرِى ... لَدَى عطشى على الماء القَراح[4]
ولى أملٌ لو الواشون كفُّوا ... لأطلع غَرْسُه ثمرَ النجاح
وأعجبُ كيف يغلبنى عَدُوٌّ[5] ... رضاكِ عليه من أمْضَى سلاح
ولما أن جَلَتْكِ لىَ اختلاساً ... أكفُّ الدهر للحَيْن المُتَاح
رأيتُ الشمس تطلع من نقابٍ ... وغُصْنَ البانِ يَرْفُلُ فى وشاح[6]

---

(١) دان : جزى . دين : مجهول دان .
(٢) يصبينا : يستهوينا .
(٣) أولى : أنعمى .
(٤) القراح : الصافى .
(٥) يريد بالعدو غريمه ابن عبدوس .
(٦) الوشاح : حزام يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

فلو أسطيعُ[١] طِرْتُ إليك شَوْقاً ... وكيف يطير مقصوصُ الجناح
على حالْ وصالٍ واجتنابٍ ... وفى يومىْ دُنُوٍّ وانْتِزَاح[٢]
وحسبى أن تطالعك الأمانى ... بأُفْقِكِ فى مساء أو صباح
وأنْ تُهْدِى السَّلامَ إلىَّ غِبّاً[٣] ... ولو فى بعض أنفاس الرِّياح
فؤادى من أسًى بكِ غيرُ خالٍ ... وقلبى عن هَوًى لكِ غير صاح

لهفـــة

هذه مقطوعة ثانية يعبر فيها عن شوقه ، وأنه لا يستطيع صبراً عن لقاء صاحبته ، وهو فيها مضطرب بين اليأس والأمل ، وإن الأمل لترجح كفته فى نفسه ، يقول :

هل راكبٌ ذاهبٌ عنهم يُحَيِّينى ... إذ لا كتابَ يوافينى فيُحْيينى
قد متُّ إلا ذَماءً[٤] فىّ يُمْسِكُهُ ... أن الفؤاد بلُقياهم يُرَجِّينى
ما سرَّح[٥] الدَّمْعُ من عَيْنى وأطلَقَهُ ... إلا اعتيادُ أسًى فى القَلْبِ مَسْجُونِ
صَبْراً لعل الذى بالبُعْد أمْرَضَنى ... بالقُرْب يوماً يُدَاوينى فَيَشْفِينى
كيف اصطبارى وفى كانون[٦] فارقنى ... قَلْبى وها نحن فى أعْقابِ تَشْرِين[٧]
شَخْصٌ يذكِّرنى فاه وغُرَّتَهُ ... شمسُ النهارِ وأنفاسُ الرياحين

---

(١) أسطيع : أستطيع وكثيراً ما تحذف تاء استطاع فى الشعر للتخفيف .
(٢) انتزاح : بعد .
(٣) غبا : فى الحين بعد الحين .
(٤) الذماء : بقية الروح .
(٥) سرح : أطلق .
(٦) كانون الأول : شهر ديسمبر ، وكانون الثانى : شهر يناير .
(٧) تشرين الأول : شهر اكتوبر ، وتشرين الثانى : شهر نوفمبر .

لئن عَطِشْتَ إلى ذاكَ الرُّضَاب[1] لكَمْ ... قد بات منه يُسَقِّينى فيرْوِينى
وإن أفاض دموعى نوحُ باكيةٍ ... فكم أراهُ يُغَنِّينى فيُشْجِينى
وإن بعُدْتُ وأَضْنَتنى الهموم لقد ... عهدته وهْو يُدْنينى فيُسْلِينى
يا حُسْنَ إشراق ساعات الدنوِّ بَدَتْ ... كواكباً فى ليالى بُعدِهِ الجُونِ[2]
والله ما فارقونى باختيارهمُ ... وإنما الدَّهْرُ بالمكروه يَرْمينى
وما تبدَّلتُ حُبًّا غير حُبِّهِمُ ... إذا تبدَّلْتُ دِينَ الكفرِ من دينى
أفْدِى الحبيب الذى لو كان مقتدراً ... لكان بالنَّفْس والأهلين يَفْدينى
يا ربِّ قرِّبْ على خَيْرٍ تلاقِينَا ... بالطالع السَّعْد والطير الميامينِ[3]

وداع

تعبر هذه المقطوعة عن يأس الشاعر وألمه ، فقد أصبح فؤاد صاحبته فارغاً منه ، وأظلمت الدنيا فى عينيه ، فتغنى تغنى الشقى المحروم بهذا اللحن الشجى الحزين يقول :

لئن قصَّر اليأسُ منكِ الأَمَلْ ... وحال تجنِّيكِ دون الحِيَلْ
وناجاكِ بالإفكِ[4] فىَّ الحسودُ ... فأعطيته جهرةً ما سَأَلْ
وراقكِ سِحْرُ العِدَى المُفْتَرى ... وغرَّكِ زُورُهمُ المُفْتَعَلْ
فإن ذِمامَ الهوَى لن أزالَ ... أُبقِّيه حفظا كما لم أزَلْ
فديتُك إن تَعْجلى بالجفا ... فقد يَهَبُ الرِّيْثَ بعضُ العَجَل[5]

---

(١) الرضاب : الريق .
(٢) الجون بضم الجيم جمع جون بفتح الجيم : السود .
(٣) الميامين : جمع ميمون : ذو اليمن والبركة . يقال هو ميمون الطائر أى مبارك الطلعة .
(٤) الإفك : الكذب .
(٥) نظم ابن زيدون فى هذا الشطر مثلا مشهوراً هو : رب عجلة تهب ريثا ، والريث : البطء .

علام اطّبتكِ[1] دواعى القِلَى[2] وفيم ثَنَتْكِ نواهى العَذَل
ألم ألْزَم الصّبْر كيما أخِفّ ألم أكثِر الهَجْرَ كى لا أُمَلّ
ألم أرْضَ منك بغير الرِّضا وأبْدِى السرور بما لم أنَلْ؟
ألم أغتفر موبقاتِ[3] الذنو ب عمدًا أتيتِ بها أم زَلَلْ؟
وما ساء ظنِّىَ فى أن يُسِىء بِىَ الفعلَ حُسْنُكِ حتى فَعَلْ
على حين أصبحتِ حَسْبَ الضمير ولم تَبْغ منك الأمانى بَدَلْ
سَعَيْتِ لتكدير عَهْدٍ صفا وحاولْتِ نقصَ وِدادٍ كَمَلْ
فما عُوفيتْ مِقَتِى[4] من أذًى ولا أُعْفِيتْ ثقتى من خَجَلْ
ومهما هززتُ إليك العتا بِ ظاهرْتِ[5] بين ضروب العِلَلْ
كأنك ناظرتِ أهل[6] الكلام وأُوتيتِ فهمًا بعلم الجدَلْ
ولو شئتِ راجَعْتِ حُرَّ الفعالِ وعُدْتِ لتلك السجايا الأُوَلْ
فلم يَكُ حَظِّىَ منكِ الأخسّ ولا عُدَّ سهْمِىَ فيكِ الأقَلّ
عليك السلامُ سلامُ الوَداعِ وداعِ هَوًى مات قبل الأجَلْ
وما باختيارٍ تسلّيت عَنْكِ ولكننى مُكرَهٌ لا بَطَلْ[7]
ولم يَدْرِ قلبِىَ كيف النزوعُ إلى أن رأى سيرةً فامتثَلْ

---

(١) اطبتك : استمالتك .
(٢) القلى : البغض .
(٣) موبقات : مهلكات .
(٤) المقة : الحب .
(٥) ظاهر : طابق .
(٦) أهل الكلام : علماء الكلام والتوحيد .
(٧) تضمين لمثل مشهور : « مكره أخاك لا بطل » .

وليت الذى قاد عفوا إليكِ ... أبِىَّ الهوى فى عِنان الغزَلْ
يُحيلُ عذوبةَ ذاك اللَّمَى[١] ... ويَشْفى من السُّقم تلك المُقَلْ

شكوى

يثن الشاعر فى هذه الشكوى وهو نازح غريب ، ويتحدث عن حزنه وسهاده ولوعات حبه . وتشجيه ورقاء[٢] ، فينبض قلبه بعشقه ، يقول :

هل تذكرون غريبًا عاده شَجَنُ ... من ذكركم وجفا أجفانَهُ الوسَنُ[٣]
يُخْفى لواعجه والشوْقُ يَفْضَحُهُ ... فقد تساوى لديه السرُّ والعَلَنُ
يا ويلتاه أيبقى فى جوانحه ... فؤادُه وهْوَ بالأطلال مُرْتَهَنُ
وأرَّقَ العينَ والظلماء عاكفةٌ ... وَرْقَاء قد شفّها إذ شفَّنى حَزَنُ
فبتُّ أشكو وتشكو فوق أيْكَتِها[٤] ... وبات يهفو ارتياحًا بيننا الغُصُنُ
يا هل[٥] أجالسُ أقواما أحِبُّهُمُ ... كنا وكانوا على عَهْدٍ فقد ظعنوا[٦]
أو تحفظون عهودًا لا أضيِّعها ... إن الكرام بحفظِ العهد تُمْتَحَنُ

---

(١) اللمى : سمرة فى الشفة .
(٢) ورقاء : حمامة .
(٣) الوسن : النوم .
(٤) الأيكة : الشجر الملتف .
(٥) يا : حرف نداء للاكتفاء على تقدير أن المنادى محذوف .
(٦) ظعنوا : رحلوا .

ذكرى قرطبة

أصبح الشاعر طريداً من فردوس الحب ، فقد نزح عنه بعيداً فى إشبيلية ، ولم يعد أمامه أمل فى أن يعب من كئوسه ، فقد أدبرت عنه السعادة ، وفرت منه نشوة الحب ، ولم يبق له إلا الفراغ والحسرة وأطياف الذكرى ، وهو يتغنى بذلك كله فى هذا المسمط :

سقى الغَيْثُ أَطْلالَ الأَحبَّة بالحِمَى ... وحَاكَ عليها ثَوْبَ وشْيٍ مُنَمْنَمَا(١)
وأطلعَ فيها للأزاهير أَنْجُما ... فكم رفَلَتْ(٢) فيها الخرائدُ(٣) كالدُّمى(٤)
إذ العيشُ غَضٌّ والزمان غلام(٥)

أهِيم بجبَّارٍ يَعِزُّ وأَخْضَعُ ... شذا المِسْكِ من أَرْدَانه(٦) يتضوَّعُ
إذا جئتُ أشكوهُ الجوَى ليس يَسْمَعُ ... فما أنا فى شىء من الوَصْلِ أَطْمَعُ
ولا أن يزور المُقْلَتين مَنَامُ

قَضِيبٌ من الرَّيْحانِ أَثْمَرَ بالبَدْرِ ... لواحِظُ عينيه مُلِثْنَ من السِّحْرِ
وديباجُ خَدَّيه حكى رَوْنَقَ الخمرِ ... وألفاظُه فى النُّطْق كاللؤلؤ النَّثْرِ
وريقَتُه فى الارتشاف مُدَامُ

سَقَى جَنَباتِ القَصْرِ صَوْبُ الغمائمِ ... وغنَّى على الأغصان وُرْقُ الحمائمِ
بقرطبةَ الغرَّاء دارِ الأكارمِ ... بلادٌ بها شَقَّ الشبابُ تمائمى
وأنجبنى قومٌ هناك كِرَامُ

---

(١) المنمنم : المزخرف والمنقوش .
(٢) رفلت : تبخترت .
(٣) الخرائد : جمع خريدة وهى العذراء الخجول .
(٤) الدمى : جمع دمية وهى التمثال .
(٥) الزمان غلام : كناية عن السرور والسعادة .
(٦) الأردان : الأكمام .

فكم لىَ فيها من مَسَاء وإصْبَاحِ بكل غزالٍ مشرق الوَجْه وضَّاحِ
يُقَدِّمُ[١] أفواهَ الكئوس بتفَّاح إذا طلعَتْ فى راحهِ أنجمُ الرَّاحِ
فإنا لإعظـام المُدَام قيـامُ

ويومٍ لدى (النبتىّ[٢]) فى شاطئ النَّهْرِ تُدَارُ علينا الرّاحُ فى فِتْيَةٍ زُهْرِ[٣]
وليس لنا فَرْشٌ سوى يانع الزَّهْرِ يَدُورُ بها عَذْبُ اللَّمَى أَهْيَفُ الخَصْرِ
بفيه من الثَّغر الشَّنيبِ[٤] نظامُ

ويومٍ (بجُوفىّ الرُّصَافة) مُبْهِجٍ مررنا بروض الأُقْحُوَان المُدَبَّجِ[٥]
وقابلَنا فيه نسيمُ البَنَفْسَج ولاح لنـا وَرْدٌ كخدٍّ مُضَرَّجِ
نراه أمام النَّوْر[٦]، وهو إمامُ

وأكرمْ بأيام (العُقاب) السَّوَالفِ ولهوٍ أثرناهُ بتلك المعـاطفِ
بسودِ أثيثِ الشَّعر بيضِ السَّوالفِ[٧] إذا رَفلوا فى وَشْى تلك المطارف[٨]
فليس على خَلْع العِذار[٩] ملامُ

وكم مَشْهَدٍ عند (العقيق) وجِسْرِهِ قَعَدْنا على حُمْر النبات وصُفْرِه
وظَبْيٍ يسقِّينا سلافةَ[١٠] خَمْرِهِ حكى جسدى فى السُّقم رقَّةَ خَصْرِهِ

---

(١) يقدم : يغطى من القدام وهو الغطاء يوضع على فم الإناء أو الكأس .
(٢) النبتى : اسم موضع بقرطبة ، وكذلك الألفاظ التى وضعناها بين أقواس فى المسمط .
(٣) زهر : جمع أزهر وهو مشرق الوجه .
(٤) الثغر الشنيب : المفتر عن أسنان لؤلؤية .
(٥) المدبج : المزين .
(٦) النور : الزهر الأبيض .
(٧) أثيث الشعر : غزيره ، والسوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق .
(٨) المطارف : جمع مطرف وهو ثوب من حرير .
(٩) خلع العذار : كناية عن التهتك والخلاعة .
(١٠) سلافة الخمر : أول ما يشرب منها ، وتسمى الخمر سلافة .

لواحظُهُ عنـد الرُّنُوِّ سِهامُ
فقل لزمانٍ قد تولَّى نعيمُهُ ورثَّتْ على مَرِّ الليـالى رُسُومُهُ
وكم رَقَّ فيه بالمَشِيِّ نسيمُهُ ولاحَتْ لسارى الليل فيه نجومهُ
عليكَ من الصَّبِّ المَشُوق سلامُ

٢ – نماذج الاستعطاف

تذلل وعتاب

نظم ابن زيدون هذه القصيدة فى مفتتح حياته التعسة بسجنه ، وهو فيها يعتب أبا الحزم جهوراً ويتضرع ويتذلل ، ولكن تذلل الأبى الذى يقدر ملكاته الفنية ، فهو يستعصب ويفخر ، وكأنما يندب نفسه ، يقول وقد أعياه السجن وأثقلته محنه

ألم يَأْنِ أن يبكى الغمامُ على مثلى ويَطْلُبَ ثأرى البَرْقُ مُنْصَلِتَ[1] النَّصْلِ
وهلا أقامت أنجمُ اللَّيـل مَأْتَماً لتَنْدُبَ فى الآفاق ما ضاع من نُبْلى
ولو أنصفَتْنى وَهْىَ أشكالُ هِمَّتى لألقتْ بأيدى الذُّلِّ لما رأتْ ذُلِّى
ولافترقَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وغاظها بمَجْمَعِها ما فرَّق الدَّهْرُ من شَمْلِى
لعَمْرُ الليالى إن يكن طال نَزْعُها[2] لقد قَرْطَسَتْ[3] بالنَّبْل فى مَقْتَلِ النُّبْلِ
تحلَّتْ بآدابى وإن مآربى لسانحةٌ فى عَرْضِ أُمْنِيَّةٍ عُطْلِ
أُخَصُّ لفَهْمى بالقِلَى وكأنما يبيت لذى الفهم الزمانُ على ذَحْلِ[4]
وأُجْنَى على نَظْمى لكل قلادةٍ مفصَّلةِ السِّمْطين[5] بالمَنْطق الفَصْلِ

---

(١) منصلت : ماض قاطع .
(٢) النزع : الرمى بالسهام والنبال .
(٣) قرطست : أصابت .
(٤) الذحل : الثأر .
(٥) السمط : الخيط فيه احمر ، وإلا فهو السلك .

ولو أننى أستطيع كى أُرْضِىَ العِدَى شَرَيْتُ ببعض العلم حَظًّا من الجَهْلِ
أمقتولةَ الأجفان[1] مالكِ والهًا ألم تُرِكِ الأيامُ نجماً هَوَى قَبْلى ؟
أَقِلِّى بُكاءً لستِ أوّلَ حُرَّةٍ
طوتْ بالأسى كَشْحاً[2] على مَضَضِ الثُّكْلِ

وفى « أمِّ موسى » عِبْرةٌ إذ رمتْ به إلى اليمِّ فى التابوت[3] فاعتبرى وَاسْلِى
ولله فينا عِلْمُ غيبٍ وحَسْبُنا به عند جَوْرِ الدَّهرِ من حَكَمٍ عَدْلِ[4]
وإن رجائى فى الهمام ابنِ جَهْوَرٍ لمستحكمُ الأسباب مُسْتَحْصِدُ[5] الحَبْلِ
كريمٌ عريقٌ فى الكرام وقَلَّما يُرَى الفَرْعُ إلا مُسْتَمِدًّا من الأصْلِ
نَهُوضٌ بأعْباء المروءة والتُّقى سَحُوبٌ لأذيال السِّيادة والفَضْلِ
إذا أَشْكَلَ الخطْبُ المُلِمُّ فإنه وآراءه كالخطِّ يوضَحُ بالشَّكْلِ
يَرِفُّ على التأميل لألاءَ بِشْرِه كما رفَّ لألاءُ الحسام على الصَّقْلِ[6]
محاسنُ ما للحُسْنِ فى البدر علّةٌ سوى أنها باتت تُمِلُّ فيَسْتَمْلى
وتَغْنَى عن المدح اكتفاءً بسَرْوِها[7] غِنَى المُقْلةِ الكَحْلاء عن زينة الكُحْلِ
أبا الحزم إنى فى عتابك مائلٌ على جانبٍ تَأْوِى إليه العُلا سَهْلِ

---

(١) الخطاب هنا لأمه .
(٢) الكشح : الخصرة يقال طوى كشحاً عن فلان أى أعرض عنه وقطعه .
(٣) يشير إلى قصة موسى وما كان من وحى الله لأمه أن تلقيه فى اليم إذا خافت عليه ، فألقته ، فالتقطته امرأة فرعون .
(٤) عدل : عادل .
(٥) مستحصد : قوى متين .
(٦) يرف : يتلألأ ويبرق . يشبه لألاء بشر أبى الحزم بلألاء السيف حين يجلى ويصقل .
(٧) السرو : الشرف

حمائمُ شَكْرِى صَبَّحتْكَ هوادلا[١] تُناديك من أفنان آدابَ الهُدْل
جوادٌ إذا استَنَّ[٢] الجيادُ إلى مَدًى تمطَّر[٣] فاستَوْلى على أمَدِ الخَصْلِ[٤]
ثَوَى صافناً[٥] فى مَرْبَطِ الهُونِ يَشْتَكى بتَصْهاله ما ناله من أذى الشَّكْلِ[٦]
أفى العَدْلِ أنْ وَافَتْكَ تَتْرَى رسائلى فلم تَتْرُكَنْ وَضْعاً لها فى يَدَىْ عَدْلِ
أُعِدُّكَ للجُلَّى وآمُلُ أن أُرَى بنُعْماكَ مَوْسوماً وما أنا بالغُفْلِ
وما زال وعْدُ النَّفْسِ لى منك بالمُنَى كأنى به قد شِمْتُ بارقةَ المَحْلِ[٧]
أئِنْ زعم الواشون ما ليس مَزْعَماً تُعَذِّرُ[٨] فى نَصْرِى وتُعْذِرُ فى خَذْلى
وأصْدَى[٩] إلى إسعافك السائغِ الجَنَى وأضْحَى[١٠] لدى إنصافك السَّابغ الظِّلِّ
ولو أننى واقعتُ عَمْدًا خَطِيئةً لما كان بِدْعاً من سجاياك أن تُمْلِى[١١]
فلم أَسْتَثِرْ حَرْبَ الفِجار[١٢] ولم أُطِعْ مُسَيْلِمَةً إذ قال إنى من الرُّسْلِ
ومثلىَ قد تهفو به نشوةُ الصِّبا ومثلك مَنْ يعفو ومالك من مِثْلِ
وإنى لتنهانى نُهَايَ عن التى أشاد بها الواشى ويَعْقِلنى[١٣] عَقْلى

---

(١) هوادلا : جمع هادلة من الهديل وهو صوت الحمام ، وفى آخر البيت وصف الأفنان بأنها هدل من تهدلت أى تدلت .
(٢) استن الجياد : مضت مسرعة فى السباق .
(٣) تمطر : انصبَّ .
(٤) استولى على أمد الخصل : كناية عن إحراز قصب السبق ، والخصل : بلوغ الهدف .
(٥) الصافن من الجياد : الذى قام على ثلاثة قوائم ولوى الرابعة .
(٦) الشكل : شد قوائم الدابة بالشكال
(٧) شام البرق : رآه ، وبارقة المحل لا تمطر ، والكناية واضحة .
(٨) تعذر الأولى : تقصر ، وتعذر الثانية : تلتمس العذر .
(٩) أصدى : أعطش .
(١٠) أضحى : من ضحا يضحى إذا برز للشمس .
(١١) تملى : تمهل .
(١٢) كانت فى الجاهلية بين قريش وبنى عامر وانتهكت فيها الثانية حرمة الأشهر الحرم .
(١٣) يعقلنى : يحبسنى .

أأنقض فيك المدح من بعد قوّةٍ ... فلا أقتدى إلا بناقضة[1] الغَزْلِ
ذَمَمْتُ إذاً عَهْدَ الحياة ولا يَزَلْ ... مُمِرًّا على الأيام طَعْمُهما المُحْلى
وما كنتُ بالمهدى إلى السُّؤْدد اللخنا ... ولا بالمُسيء القول فى الحَسَن الفِعْلِ
وما لىَ لا أُثْنى بآلاء مُنْعِمٍ ... إذا الروضُ أثنى بالنسيم على الطَّلِّ
هى النَّعْلُ زلّت بى فهل أنت مُكْذِبٌ ... لقيل الأعادى إنها زَلّةُ الحِسْل[2]
ألا إن ظنى بين فِعْلَيْكَ واقفٌ ... وقوفَ الهوَى بين القطيعة والوَصْلِ
فإن تُمْنَ لى منك الأمانى فشيمةٌ ... لذاك الفَعال القَصْد والخُلُق الرَّسْلِ[3]
وإلا جَنَيْتُ الأُنسَ من وَحشَة النَّوَى ... وهَوْلِ السُّرَى بين المطيَّة والرَّحْلِ[4]
سَيُغْنَى بما ضَيَّعتَ منىَ حافظٌ ... ويُلفَى لما أَرْخَصْتَ من خَطَرى مُغْلِى
وأين جوابٌ منك تَرضَى به العُلا ... إذا سألتنى عنك ألسنةُ الحَفْلِ

سهر وعذاب

لم يستمع أبو الحزم إلى توسلات الشاعر فى القصيدة السابقة ، فنظم هذه القصيدة يعبر فيها من جهة عن سهاده وأرقه لهجر حبيبته ، ومن جهة ثانية عن عذابه فى السجن وألمه ، وفى أثناء ذلك نراه يتعزى بإنحاء الدهر على الأحرار ، مفتخراً بشعره وما يحسنه منه ، مذكراً أبا الحزم بما دبجه فيه من ثناء عطر ، يقول :

ما جال بعدكِ لَحظِى فى سَنا القَمَرِ ... إلا ذكرتُكِ ذِكْرَ العَيْنِ بالأَثَرِ[5]
ولا استطالتْ ذَماء[6] الليل من أَسَفٍ ... إلا على ليلةٍ سَرَّتْ مع القِصَرِ

---

(١) يشير إلى الآية الكريمة « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » .
(٢) الحسل : السوق الشديد أو الخسة وبكسر الحاء : ولد الضب .
(٣) تمنى : تقدر ، الفعال : الفعل الجميل ، القصد : العدل ، الرسل : السهل والطلق .
(٤) يشير إلى أنه سيرحل إن لم يحظ منه بالصفح الجميل .
(٥) يقول إنه سيذكرها ذكر من يرى عين الشىء برؤية أثره .
(٦) الذماء : بقية الروح .

ناهيكِ من سَهَرٍ بَرْحٍ تألّفه ... شوقٌ إلى ما انقضى من ذلك السَّمرِ
يا ليتَ ذاكَ السَّوادَ الجَوْنَ[١] متّصلٌ ... قد استعار سواد القلب والبَصَرِ[٢]
أما الضَّنَى فجَنَتْهُ لحظةٌ عَنَنٌ[٣] ... كأنها والرَّدى جاءا على قَدَرِ
فهمتُ معنى الهوى من وَحْيِ طَرْفك لى ... إنّ الحوار لمفهومٌ من الحَوَرِ
والصَّدرُ مذ وردتْ رِفْهاً نواحيَهُ ... تُومُ القلائد لم تجنح إلى صَدَرِ[٤]
حُسنٌ أفانينُ لم تَستوفِ أعينُنا ... غاياته بأفانينٍ من النَّظَرِ
واهاً لثغرِكِ ثَغراً بات يكلؤهُ ... غيرانُ تَسرِى عواليه[٥] إلى الثُّغَرِ[٦]
يقظان لم يكتحل غَمْضاً مراقبةً ... لرابط الجأش مِقدامٍ على الغَرَرِ[٧]
لا لَهوُ أيامه الخالى بمُرْتَجَعٍ ... ولا نعيمُ لياليه بمُنْتَظَرِ
إذ لا التحيـــةُ إيماءٌ مُخالَسَةً ... ولا الزيارة إلمامٌ على خَطَرِ
مُنًى كأنْ لم يكن إلا تذكرُها ... إن الغرام لمعتادٌ مع الذِّكَرِ
مَنْ يَسأَلِ الناسَ عن حالى فشاهدُها ... مَحضُ العِيان الذى يُغْنى عن الخبرِ
لم تَطْوِ بُردَ شبابى كَبْرَةٌ وأرَى ... بَرْقَ المشيبِ اعْتَلَى فى عارض[٨] الشَّعرِ
قبل الثلاثين إذ عهدُ الصِّبا كَثَبٌ[٩] ... وللشبيبة غُصْنٌ غيرُ مُهتَصرِ[١٠]

---

(١) الجون : الحالك .

(٢) يتمنى لو أن سواد الليل استعار سواد قلبه وبصره حتى يطول ويدوم .

(٣) عنن : عارضة .

(٤) الورود الرفه : الورود الدائم ، وتوم القلائد : اللآلىء المزدوجة . والصدر : الرجوع بعد الورود .

(٥) العوالى : الرماح .

(٦) الثغر : جمع ثغرة ، وهى نقرة النحر .

(٧) الغرر : الخطر .

(٨) العارض : صفحة الخد .

(٩) كثب : قريب .

(١٠) مهتصر : مائل .

ها إنَّها لوعةٌ فى الصدر قادحَةٌ ... نارَ الأسى ومشيبى طائرُ الشَّرَر
لا يَهْنَأُ الشامتَ المرتاحَ خاطرُهُ ... أنِّى مُعَنًّى الأمانى ضائعُ الخطَر
هل الرياحُ بنجم الأرض عاصفةٌ ... أم الكسوفُ لغير الشمس والقمر ؟
إن طال فى السِّجْن إيداعى فلا عجبٌ ... قد يودَعُ الجفنَ حدُّ الصارم الذَّكَر
وإن يُثَبَّطْ ، أبا الحَزْم الرِّضا ، قَدَرٌ ... عن كشف ضُرِّى فلا عَتْبٌ على القَدَر
ما للذنوب التى جانى كبائرها ... غيرى يُحَمِّلنى أوزارَها وَزَرِى (١)
من لم أزلْ من تَأَتِّيهِ على ثِقَةٍ ... ولم أبِتْ من تجنِّيه على حَذَرِ
ذوالشيمةالرَّسْل (٢) إنهيجتْحَفِيظَتُهُ ... والجانبِ السَّهْل والمُسْتَعْصَبِ اليَسَرِ (٣)
وزيرُ سَلْمٍ كفاهُ يُمْنُ طائرِهِ ... شؤمَ الحروب ورأىٌ مُحْصَدُ المِرَرِ (٤)
أغْنَتْ قريحته مُغْنَى تجاربِه ... ونابتِ اللَّمْحَةُ العجلَى عن الفِكَرِ
كم اشترى بِكَرَى عينيه من سَهَرٍ ... هدوءَ عَيْنِ الهدى فى ذلك السَّهَرِ
فى حَضْرَةٍ غاب صَرْفُ الدهر خَشْيَتَه ... عنها ونام (٥) القَطَا فيها فلم يُثَرِ
ممتَّعٌ بالربيع الطَّلْق نازِلُها ... يُلْهِيه عن طيب آصالٍ نَدَى بُكَرِ (٦)
ما إن يزال يبثُّ النَّبتَ فى جَلَدٍ (٧) ... مذ ساسها ويُفيض الماء من حَجَرِ
وكنتُ أحسبنى والنجمَ فى قَرَنٍ ... ففيم أصبحتُ منحطّا إلى العَفَرِ (٨)؟

---

(١) الوزر : الظهير والمعين ويريد أبا الحزم .
(٢) الرسل : السمحة .
(٣) اليسر : السهل .
(٤) المرر : جمع مرة ، وهى قوة الخلق وشدته ، ومحصد : قوى متين .
(٥) القطا : جمع قطاة : طير يشبه الحمام ؛ يذكر كثيراً فى الشعر الجاهلى والإسلامى ، ونومه كناية عن الأمن والدعة .
(٦) البكر جمع بكرة : أوائل النهار ضد الآصال .
(٧) الجلد : الأرض الصلبة المستوية .
(٨) العفر : التراب ، ووجه الأرض .

أحين رفَّ على الآفاق من أدبى ... غَرْسٌ له من جَناهُ يانعُ الثَّمَرِ
وسيلةٌ سببٌ إلاَّ تكن نَسَباً ... فَهْوَ الودادُ صَفا من غير ما كُدَرِ
وبائنٍ من ثناء حُسْنُهُ مَثَلٌ ... وَشْيُ المحاسن منه مُعْلَمُ الطُّرَرِ (١)
يُسْتَودَعُ الصُّحْفَ لا تخفى نَوافجه (٢) ... إلا خفاء نسيمِ المسك فى الصُّرَرِ (٣)
لى فى اعتمادك بالتأميل سابقةٌ ... وهِجْرَةٌ فى الهوى أولى من الهِجَرِ
ففيم غَضَّتْ هموى من عُلا هِمَمِى ... وحاصَ (٤) بى مطلبى عن وجهة الظفَرِ
هل من سبيلٍ فماء العَتْبِ لى أَسِنٌ ... إلى العذوبة من عُتباك والخَصَرِ (٥)
نذرتُ شكرك لا أَنْسَى الوفاء بهِ ... إن أسفرتْ لىَ عنها أَوْجُهُ البُشَرِ
لا تَلْهُ عنى فلم أسألك معتسفاً ... ردَّ الصِّبا بعد إيفاءٍ على الكِبَرِ (٦)
هَبْنى جَهِلْتُ فكان الصُّنْعُ سَيِّئَةً ... لا عُذْرَ منها سوى أنى من البَشَرِ
إن السيادةَ بالإغضاء لا بِسَةٌ ... بهاءها وبهاء الحُسْنِ فى الْخَفَرِ
فاشْفَعْ أَكُنْ مثل مَمْطُورٍ ببلدته ... جذلانَ بالوطن المألوف والوطَرِ
والبَسْ من النِّعمة الخضراء أَيْكَتَها ... ظِلاًّ حراماً على الآفات والغِيَرِ
نعيمَ جَنَّةِ دُنْيا إنْ هى انصرمَتْ ... نعمْتَ بالخُلْدِ فى الجنَّات والنَّهَرِ

---

(١) بائن : فائق فى الحسن ، من بانه يبونه : فاقه فى المزية ، والطرر : جوانب الثوب . ومعلم الطرر : المميز بعلامات دالة .

(٢) النوافج : جمع نافجة وهى وعاء المسك .

(٣) الصرر : جمع صرة وهى الكيس .

(٤) حاص : مال

(٥) الخصر : البرودة ، والعتبى : الرضا ، يقول : هل من سبيل إلى رضاك الذى يشبه الماء العذب الخصر فإن ماء العتب أصبح آسنا كدرا .

(٦) يقول إنه لم يسأله مستحيلا ، فلم يسأله أن يرد إليه الصبا وقد أوفى على المشيب .

ألم وعزاء

أرسل الشاعر هذه القصيدة من سجنه إلى صديقه الكاتب المشهور أبي حفص بن برد يألم من حساده ، ويعجب لألافه وكيف أنهم لا يسعون فى خلاصه ، ويقلب صفحات الزمن أمامه متعزياً عن كارثته ، ويتحدث أخيراً إلى صديقه ، فيسأله أن لا يكف عن مجونه ، فهو يحب له أن يكون سعيداً فى حين هو شقى بائس فى غياهب السجن وظلماته ، يقول :

ما على ظَنِّيَ باسُ ... يَجْرَحُ الدَّهْرُ ويأسُو
ربما أشرف بالمَرْ ... ء على الآمال يأسُ
ولقد يُنْجِيك إغفا ... لٌ ويُرْديك احتراسُ
والمحاذيرُ سِهامٌ ... والمقاديرُ قياسُ[1]
ولكم أَجْدى قعودٌ ... ولكم أَكْدَى[2] التماسُ
وكذا الدَّهْرُ ، إذا ما ... عَزَّ ناسٌ ذلَّ ناسُ
وبنو الأيام أخيا ... فٌ[3] : سَراةٌ وخِسَاسُ
نَلْبَس الدنيا ولكنْ ... متعةٌ ذاك اللِّباسُ
يا أبا حَفْصٍ وما سا ... واكَ فى فَهْمٍ إياسُ[4]
من سَنَا[5] رأيك لى فى ... غَسَقٍ[6] الخَطْب اقتباسُ

---

(١) قياس هنا : جمع قوس .
(٢) أكدى : أخفق .
(٣) أخياف : مختلفون ، سراة : شرفاء .
(٤) إياس بن معاوية من قضاة العراق فى عصر بنى أمية وكان مشهوراً بالذكاء والفهم والفراسة . قال أبو تمام يمدح أحمد بن المعتصم :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

(٥) سنا : ضوء .
(٦) غسق : ظلمة .

ووِدادى لكَ نَصٌّ لم يُخالفْهُ قيـاسُ
أنا حيرانُ ، وللأمـــر وضـوحٌ والتباسُ
ما ترى فى معشرٍ حا لوا عن العهد وخاسوا(١)
ورأونى سامريًّا(٢) يُتَّقَى منـــه المِساسُ
أذؤبٌ هامت بلَحْمِى فانتهاشٌ وانتهاسُ(٣)
كلهم يسأل عن حا لى وللذئب اعتساسُ(٤)
إن قَسَا الدهرُ فللما ء من الصخر انبجاسُ
ولئن أمسيتُ محبو ساً فللغيث احتباسُ
يَلْبُدُ(٥) الوَرْدُ(٦) السَّبَنْتَى وله بَعْدُ افـــتراسُ
فتأمَّلْ كيف يَغْشَى مُقْلَةَ المجْدِ النُّعاسُ
ويُفَتُّ المِسْكُ فى التُّرْ بِ فيُوطَا ويُدَاسُ
لا يكن عَهْدُكَ وَرْداً إن عهدى لك آسُ(٧)
وأدِرْ ذكرىَ كأساً ما امتطَتْ كفَّك كاسُ
واغتنم صَفْوَ الليـالى إنما العَيْشُ اختلاسُ
وعَسَى أن يَسْمَح الدَّهْـــرُ فقد طال الشِّماسُ(٨)

---

(١) خاسوا : خانوا .
(٢) السامرى : قصته مشهورة فى القرآن الكريم ، كان من قوم موسى . فعبد العجل وتحامله قومه .
(٣) الانتهاس : العض .
(٤) الاعتساس : طلب الصيد بالليل .
(٥) يلبد : يلصق بالأرض .
(٦) الورد : الأسد ، والسبنتى : الجرىء .
(٧) يشير إلى أن الورد يسرع ذبوله بخلاف الآس .
(٨) الشماس : التمرد والعصيان .

جنـاية

نظم الشاعر هذه القصيدة بعد ثورة بنى ذكوان على أبى الوليد بن جهور سنة ٤٤٠ للهجرة، ومر بنا أن أبا الوليد قضى على هذه الثورة، والشاعر محزون مضطرب، يتنصل من تبعة الثورة بل إنه ليعلن توبته مما يدل على أن ظنوناً أحاطت به وتهماً وجهت إليه، وخاصة أن صلات قوية كانت منعقدة بينه وبين هذا البيت، بيت بنى ذكوان، ولعله لذلك يهاجمهم فى القصيدة مهاجمة عنيفة. يقول فزعاً إلى ساحة أبى الوليد وعطفه آملا أن يقيله من عثرته :

هل النِّداء الذى أعلنتُ مُسْتَمَعُ ... أم فى المئاتِ[1] التى قَدَّمْتُ مُنْتَفَعُ

ليس الركونُ إلى الدنيا دليلَ حِجًى ... فإنها دُوَلٌ أيامُها مُتَعُ

تأتى الرزايا نظاماً فى حوادثها ... إذ الفوائدُ فى أثنائها لُمَعُ[2]

أهلُ النباهة أمثالى لدهرهمُ ... بِقَصْرِهِمْ دون غايات المُنى وَلَعُ

لولا بنو جَهْوَرٍ ما أشْرَقَتْ هِمَمى ... كمثل بيض الليالى دونها الدَّرَعُ[3]

همُ الملوك ملوك الأرض، دونهمُ ... غيدُ السَّوالِفِ فى أجيادها تَلَعُ[4]

من الوَرَى، إن يفوقوهم فلا عجبٌ ... لذلك الشَّهْرُ من أيامه الجُمَعُ

قومٌ متى تَحْتَفِلْ فى وصف سُؤْددِهم ... لا يأخذ الوصفُ إلاَّ بعضَ ما يَدَعُ

---

(١) يريد بالمئات مئات الأبيات التى مدح بها أبا الوليد.

(٢) لمع : يريد أنها متفرقة غير متصلة، فهى قليلة.

(٣) الدرع : السواد.

(٤) غيد : جمع أغيد وهو المائل، والسوالف، جمع سالفة وهى صفحة العنق، والتلع : طول العنق. يقول إن ملوك الأرض الذين يمشون مختالين قد لووا أعناقهم كبراً وعجباً دون بنى جهور.

تجهّم الدهر فانصاتتْ لهم غُرَرٌ ... ماه الطلاقة فى أسرارها دُفَعُ[١]

باهتْ وجُوهُهمُ الأعراضَ من كَرَمٍ ... فكلما راق مَرْأًى طاب مُسْتَمَعُ

سَرْوٌ[٢] تزاحَمُ فى وصف المديح لهُ ... محاسنُ الشعر حتى بينها قُرَعُ

أبو الوليد قد استوفى مناقِبَهمْ ... فللتفاريق[٣] منها فيه مُجْتَمَعُ

هو الكريمُ الذى سَنَّ الكرامُ له ... زُهْرَ المساعى فلم تَسْتَهْوِهِ البِدَعُ[٤]

من عِتْرَةٍ ألهمتْه فى تعاقبها ... أن المكارم إيصاءٌ[٥] بها شِرَعُ[٦]

مُهَذَّبٌ أخْلَصَتْهُ أوَّلِيَّتُهُ ... كالسيف بالغ فى إخلاصه الصَّنَعُ[٧]

إن السيوف إذا ما طاب جَوْهَرُها ... فى أول الطَّبْعِ لم يَعْلَقْ بها طَبَعُ[٨]

جذلانُ يستضحكُ الأيامَ عن شِيَمٍ ... كالروض تضحك منه فى الرُّبَى قِطَعُ

كالبارد العَذْبِ لذَّتْ من موارده ... لشاربٍ — غِبَّ[٩] تبريح الصَّدَى[١٠] — جُرَعُ

قل للوزير الذى تأميله وَزَرى ... إن ضاق مُضْطَرَبٌ[١١] أوهال مُطَّلَعُ[١٢]

---

(١) انصاتت : تبلجت ، الغرر : الجباه ، الطلاقة : السماحة ، وأسرار هنا : سرائر الوجه ، ودفع : جمع دفعة وهى الدفقة من الماء .

(٢) سرو : شرف .

(٣) يريد أنه اجتمع لابن جهور ما تفرق فى الملوك من المناقب والفضائل .

(٤) يريد أنه يسير على السنة ، ولا يتبع بدعة من البدع ، وهو يمدحه كثيراً بالتقوى .

(٥) إيصاء : يريد أنهم يتواصون بها .

(٦) شرع : جمع شرعة وهى الشريعة والمذهب .

(٧) الصنع : الصناع الحاذق .

(٨) طبع : صدأ أو عيب .

(٩) غب : بعد .

(١٠) الصدى : العطش .

(١١) المضطرب : السير فى مناكب الأرض .

(١٢) المطلع : الاطلاع على ما يخيف ، لقوله هال .

أَصِخْ[١] لهَمْسِ عتابٍ تحته مِقةٌ ... تُكَلِّفُ النفسُ منه فوق ما تَسَعُ

ما للعتابِ الذى أَحْصَفْتَ[٢] عُقْدَتَهُ ... قد خامرَ[٣] القلبَ من تضييعه جَزَعُ

ألستُ أهلَ اختصاصٍ منك تُلْبِسُنى ... جمالَ سيماهُ أم مافىَّ مُصْطَنَع ؟[٤]

لم آتِ فى الحال من سَعْيى لديك وَنًى[٥] ... بل بالجدود[٦] تطير الحال أو تقع

لا تَسْتَجِزْ وَضْعَ قدرى بعد رَفْعِكَهُ ... فاللهُ لا يرفع القَدْرَ الذى تَضَعُ

تقدَّمتْ لك نُعْمَى رادها[٧] أَمَلِى ... فى جانبٍ هو للإنسان مُنْتَجَعُ

ما زال يُونِقُ شكرى فى مواقعها ... كالمُزْن تونق فى آثارِ الترَّعُ[٨]

شكرٌ يروق ويُرْضى طيبُ طُعْمَتِهِ ... فى طيِّه نفحاتٌ بينها خِلَعُ

ظَنَّ العِدَى إذ أَغَبَّتْ[٩] أنها انقطعتْ ... هيهات ليس لمدِّ البحر مُنْقَطَعُ

لا بأس بالأمر — إن ساءتْ مبادئُهُ ... نَفْسَ الشفيق — إذا ماسرَّت الرُّجَعُ[١٠]

إن الأُلَى كنتُ من قبل افتضاحِهِمُ ... مثل الشَّجَا فى لَهاهُمْ[١١] ليس يُنتَزَعُ

لم أَحْظَ إذ هم عِدًى بادٍ نفاقُهمُ ... إلا كما كنت أحظى إذ هم شِيَعُ[١٢]

---

(١) أصخ : أرهف السمع . المقة : المحبة .

(٢) أحصفت : أحكمت .

(٣) خامر : خالط .

(٤) مصطنع : مكان للصنيعة .

(٥) ونى : تقصير ، يقول : لم آت ونى أى لم أرتكب تقصيراً .

(٦) الجدود : الحظوظ .

(٧) رادها : تقدمها .

(٨) الترع : جمع ترعة وهى الروضة فى المكان العالى .

(٩) أغبت : تأخرت .

(١٠) الرجع : جمع رجعة ، يريد بها هنا الأواخر فى مقابل المبادئ والأوائل .

(١١) لها : جمع لهاة ، وهى الحلق . وقد بدأ يتحدث منذ هذا البيت عن بنى ذكوان ، وجعلهم أعداءه وحساده على ما يبدو من شعره فى أبى الوليد ، كما هو واضح فى الأبيات التالية .

(١٢) يقول إنهم كانوا ينافقونه فيظهرون له الصداقة وهم أعداؤه ، وهو فى ذلك كله يتبرأ منهم ومن جريرتهم .

ما غاظهم غيرُ ما سَيَّرْتُ من مِدَحٍ ... فى صائك[1] المِسْكِ من أنفاسها فَنَعُ[2]

كم غُرَّةٍ لى تلقَّتها قلوبُهُمُ ... كما تلقَّى شهابَ المُوقِدِ الشَّمَعُ[3]

إذا تأمَّلت [حُبِّى] غِبَّ غِشِّهِمُ ... لم يَخْفَ من فَلَقِ الإصْباحِ مُنْصَدِعُ[4]

تلك العرانين[5] لم يصلح لها شَمَمٌ[6] ... فكانَ أهونَ ما نِيلتْ به الجَدَعُ[7]

أَوْدَعْتَ نُعمانَ منهم شَرَّ مُفْتَرَسٍ ... لن يكْرُمَ الغَرْسُ حتى تكْرُمَ البُقَعُ[8]

لقد جَزَيْتَهم جوازى الدَّهر عن مِنَنٍ ... مَضَتْ فلم يَثْنِهِمْ عن غَمْطِها وَرَعُ

لا زال جَدُّك بالأعداء يَصْرَعُهُمْ ... إن كان بين جدود الناس مُصْطَرَعُ

٣ — نماذج المديح

ابتهاج

كان ابن زيدون كما أسلفنا صديقاً لأبى الوليد بن جهور ، فلما توفى أبوه سنة ٤٣٥ للهجرة واعتلى عرش قرطبة من بعده ابتهج قلب الشاعر ، وأحس كأن الدنيا تدق بشائرها من حوله ، فنظم هذه القصيدة يعبر عن فرحة نفسه ، وقد عاودته ذكرى ولادة ، فاجتمعت النشوتان : نشوة الحب ونشوة الغبطة بالصديق وولايته التى ستحقق أمانيه ، يقول :

ما لِلمُدَامِ تُدِيرُها عَيْنَاكِ ... فيَميلَ فى سُكْرِ الصِّبا عِطْفَاكِ ؟

---

(١) صائك : لازق وسائل .

(٢) الفنع : نفحة المسك .

(٣) يقول كم من قصيدة لى كانت توقد قلوبهم بنار الحسد فيتلقونها كما يتلقى الشمع نار الموقد له ولهبها اللاذع .

(٤) انصدع الصبح : انشق عن الضياء .

(٥) العرانين : جمع عرنين وهو أعلى الأنف .

(٦) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف مع استوائها ، والعرب يكنون بالشمم عن الأنفة والعزة .

(٧) الجدع : قطع الأنف .

(٨) البقع : جمع بقعة وهى القطعة من الأرض .

هلا مزجْتِ لعاشقيك سُلافَها ... ببَرُودِ ظَلْمِكِ[١] أو بعَذْب لَمَاكِ[٢]

بل ما عليكِ وقد مَحَضْتُ لكِ الهوَى ... فى أن أفوز بحُظْوَة المِسْوَاكِ[٣]

ناهيكِ ظلماً أن أَضَرَّ بىَ الصَّدَى ... بَرْحاً[٤] ونال الرِّىَّ عودُ أَراكِ

واهاً لعَطْفكِ والزمانُ كأنَّما ... صُبِغَتْ غضارتُهُ[٥] ببُرْدِ صباكِ

والليلُ مهما طال قصّر طولَهُ ... هاتى — وقد غَفَل الرّقيبُ — وهاكِ

ولطالما اعتلَّ النسيمُ فخلْتُهُ ... شكوايَ رقَّتْ فاقْتضتْ شكواكِ

إن تَأْلَفى سِنَةَ النَّئُوم خَلِيَّةً ... فلطالما نافَرْتِ فىَّ كَرَاكِ[٦]

أو تَحْتَبى بالهجر فى نادى القِلَى ... فلكم حَلَلْتِ إلى الوصال حُباكِ[٧]

أما مُنَى نَفْسِى فأنتِ جميعُها ... يا ليتنى أصبحتُ بعضَ مُناكِ

يَدْنُو بوصْلكِ حين شَطَّ[٨] مَزَارُهُ ... وَهْمٌ أكادُ به أُقَبِّلُ فاكِ

ولئن تجنَّبْتُ الرَّشَادَ بغَدْرَةٍ ... لم يَهْوِ بى فى الغَىِّ غَيْرُ هَوَاكِ

للجَهْورىِّ أبى الوليد خلائقٌ ... كالرَّوْض أضحكهُ الغمامُ الباكى

مَلِكٌ يسوسُ الدهرَ منه مهذَّبٌ ... تدبيرُه للمُلْكِ خير مِلاكِ[٩]

---

(١) الظلم : الريق وماء الأسنان ، وبرود : بارد .

(٢) اللمى : سمرة فى الشفة .

(٣) المسواك : جمعه مساويك : عود تطهر وتنظف به الأسنان . ولقد استعمل بشار كلمة المسواك استعمالا لطيفاً حيث يقول :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر ... إلا شهادة أطراف المساويك

(٤) البرح : الشدة والمشقة .

(٥) الغضارة : البهجة .

(٦) الكرى : النوم ، ونافر هنا : عادى .

(٧) القلى : البغض الشديد ، واحتبى : اشتمل بالثوب مشتق من الحبوة وتجمع على حبى ، أى إن كنت تهجرينى الآن فكم وصلتنى .

(٨) شط : بعد .

(٩) ملاك الأمر : قوامه .

جارَى أباه بعد ما فات المدَى ... فتلاه بين الفَوْت والإدْراكِ
شمسُ النهارِ وبَدْرُهُ ونجومُهُ ... أبناؤهُ من فَرْقَدٍ وسِماكِ[١]
يَسْتَوْضِحُ السارون زُهْرَ كواكبٍ ... منهم تُنير غياهبَ الأحْلاكِ
بُشْرَاكِ يا دُنْيا وبُشْرانا معاً ... هذا الوزيرُ أبو الوليد فتاكِ
تُلْفِى السيادةَ ثَمَّ[٢] إن أضْلَلْتِها ... ومتى فقدْتِ السَّرْوَ[٣] فهْوَ هُناكِ
وإذا سمعتِ بواحدٍ جُمِعَتْ لهُ ... فِرَقُ المحاسن فى الأنام فذاكِ
صَمصامُ بادرَةٍ[٤] وطَوْدُ سَكينةٍ ... وجوادُ غاياتٍ وجِذْلُ[٥] حِكاكِ
طَلْقٌ يُفَنِّدُ فى السماح ، وجاهلٌ ... من يَسْتَشِفُّ النار بالمِحْراكِ
صَنَعُ[٦] الضمير إذا أجال بمُهْرَقٍ[٧] ... يُمْناهُ فى مَهَلٍ وفى إيشاكِ[٨]
نظَمَ البلاغةَ فى خلال سطوره ... نَظْمَ اللآلى التُّوَّمِ[٩] فى الأسْلاكِ
نادَى مساعيَه الزمانُ مُنافِساً ... أحْرَزْتِ كلَّ فضيلةٍ فكفاكِ
ما الوَرْدُ فى مَجناهُ سامَرَه النَّدَى ... مُتَحلِّياً إلاّ ببعض حُلاكِ

---

(١) الفرقد والسماك : نجمان نيران .
(٢) ثم : هناك .
(٣) السرو : الشرف .
(٤) صمصام بادرة : سيف حدة .
(٥) الجذل : عود الشجرة ، وجذل الحكاك : جذل ينصب لتحتك به الإبل الجربى ، ويقال للرجل جذل حكاك أى يستشفى برأيه وتجربته ، ومنه المثل القائل : أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك .
(٦) صنع الضمير : صناع حاذق .
(٧) المهرق : الصحيفة .
(٨) إيشاك : إسراع .
(٩) توم اللآلىء : المزدوج منها .

كلا ولا المسكُ النَّمومُ[١] أَريجُهُ ... مُتَعَطِّراً . إلاّ بوَسْم ثنائك[٢]

اللَّهْوُ ذِكْرُكِ لا غناء مُرَجَّعٍ[٣] ... يفتنُّ فى الإطلاق والإمْساكِ[٤]

طارتْ إليكِ بأَوْليائكِ هِزَّةٌ ... تهفو لها أَسَفاً قلوبُ عِداكِ

يَأيها القمرُ الذى لسَنائه ... وسناهُ[٥] تَعْشُو[٦] السَّبْعُ فى الأفلاكِ

فَرَحُ الرياسةِ إذ ملكْتَ عِنانها ... فَرَحُ العروسِ بصحة الإمْلاكِ[٧]

من قال إنك لستَ أَوْحَدَ فى النُّهَى ... والصالحاتِ فدانَ بالإشراكِ

قَلِّدْنىَ الرَّأْىَ الجميلَ فإنَّهُ ... حَسْبى ليومَىْ زينةٍ وعِراكِ

وإذا تحدَّثتِ الحوادثُ بالرَّنا[٨] ... شَزْراً إلىَّ فقُلْ لها : إيَّاكِ

والدَّجْنُ للشمس المنيرة حاجبٌ ... والجَفْنُ مَثْوَى الصارم الفَتَّاكِ

دامَتْ حياتُك ما اسْتُدِمْتَ فلم تَزَلْ ... تَحْيا بك الأخطارُ بعد هلاكِ

---

(١) النموم : الساطع .

(٢) الثنا : الثناء .

(٣) مرجع : مردد .

(٤) الإطلاق والإمساك : الانطلاق بالصوت ثم النزول به .

(٥) السنا بالقصر : الضوء ، وبالمد : الشرف والرفعة .

(٦) فى رواية تعنو أى تذل وتخضع ، وتعشو : تقصد . يقال عشا إلى النار وإلى النار . رآها ليلا فقصدها راجياً هدى أو قرى . قال الأعشى :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

(٧) الإملاك : الزواج .

(٨) الرنا : النظر المستديم .

ملتمس الوزارة

أفصح الشاعر لأبى الوليد فى القصيدة السابقة عن رجائه فيه، إذ قال له « قلدنى الرأى الجميل » ووقف ببابه ينتظر تحقيق ملتمسه ، ولم يكن يلتمس مالا أو جائزة ، إنما كان يلتمس أن يلقى إليه بمقاليد دولته ، فيصبح وزيره ومستشار رأيه وحكمه ، وقد عينه للنظر فى شئون أهل الذمة ولكن ذلك كان دون مبتغاه وأمله ، فعاد إليه يستميحه ويقول :

أجلْ! إنَّ ليلى حيث أحياؤها الأُسْدُ[1] ... مَهاةٌ حَمَتْها فى مَرَاتِعها أُسْدُ

يمانيَّةٌ تَدْنُو وَيَنْأَى مَزارُها ... فسِيَّانِ منها فى الهَوَى القُرْبُ والبُعْدُ

إذا نحن زُرْناها تمرَّدَ مارِدٌ ... وعزَّ—فلم نظفر بهِ—«الأَبْلَقُ الفَرْدُ»[2]

تحول رماحُ الخَطِّ[3] دون اعتيادها[4] ... وخَيْلٌ تمطَّى نحو غاياتها جُرْدُ

لحىٍّ لَقَاحٍ[5] تأنَفُ الضَّيْمَ منهمُ ... جَحاجِحَةٌ[6] شِيبٌ وصُيَّابَةٌ[7] مُرْدُ

سَتُبْلغها عنا الشَّمالُ[8] تَحيَّةً ... نَوافِحُ أنفاس الجَنُوب لها رَدُّ

فما نُسِيَ الإلْفُ الذى كان بيننا ... لطول تنائينا ولا ضُيِّعَ العَهْدُ

لئن قيل: «فى الجِدِّ النجاحُ لطالبٍ» ... لقلَّ غَناءُ الجِدِّ ما لم يكن جَدُّ[9]

هُوَ الدَّهْرُ مهما أَحْسنَ الفِعْلَ مَرَّةً ... فَمَنْ خطإٍ لكن إساءتُه عَمْدُ

---

(١) الأسد : قبيلة يمنية وهى الأزد .

(٢) الأبلق الفرد : حصن للسموءل اشتهر بمنعته .

(٣) الخط : ساحل البحرين ، وإليه تنسب الرياح الخطية .

(٤) اعتيادها : زيارتها .

(٥) الحى اللقاح : الذين لا يدينون لغيرهم من الملوك .

(٦) الجحاجحة جمع جحجاح : السادة

(٧) صيابة القوم : خيارهم .

(٨) الشمال والجنوب : ريحان .

(٩) الجد بكسر الجيم : الاجتهاد، وبالفتح : الحظ .

حِذَارَكَ أَن تغترَّ منه بجانبٍ ... ففى كل وادٍ من نوائبهِ « سَعْدُ »(١)

ولولا السَّرَاةُ الصِّيدُ من آل جَهْوَرٍ ... لأعوز من يُعْدِى عليه متى يَعْدُو

ملوكٌ لبِسْنا الدَّهر فى جَنَبَاتِهِمْ ... رقيقَ الحواشى مثلما فُوِّفَ(٢) البُرْدُ

بحيثُ مُقِيلُ(٣) الأمن ضافٍ(٤) ظلالُهُ ... وفى سَهْلِ العَيْشِ العُذُوبَةُ والبَرْدُ

هم النفرُ البيضُ الذين وجوههم ... تروق فتستشفى بها الأعْيُنُ الرُّمْدُ

كرامٌ يمدُّ الراغبون أكفَّهُمْ ... إلى أبْحُرٍ منهم لهـا باللُّهَا(٥) مَدُّ

فلا يُنْعَ منهم هالكٌ ، فَهْوَ خالدٌ ... بآثارهِ إن الثناء هو الخُلْدُ

أليس أبو الحزم الذى غِبَّ سَعْيِهِ ... تبصَّر غاوينـا فبان له الرُّشْدُ

أَغَرُّ تمهَّدْنا به الخفض(٦) بعد ما ... أُقِضَّ(٧) علينا مَضْجَعٌ ونَبَا مَهْدُ

لشَمَّر حتى انجـاب عارضُ فتنةٍ(٨) ... تألَّق منها البَرْق واصطخبَ الرَّعْدُ

هو الأثَرُ المحمودُ إن عاد ذِكْرُهُ ... تطلَّعتِ العليله واستشرف المَجْدُ

تولَّى فلولا أن تلاهُ مُحمَّدٌ ... لأوطأ خَدَّ الحرِّ أخْمَصَهُ العَبْدُ

مَليكٌ يسوسُ المُلْكَ منهُ مُقَلِّدٌ ... روى عن أبيهِ فيه ما سنَّهُ الجدُّ(٩)

سَجِيَّتُه الحُسْنى وشِيمَتُهُ الرِّضا ... وسيرته المُثْلَى ومذهبهُ القَصْدُ

---

(١) يشير إلى مثل يضرب فى الشر وهو : « بكل واد سعد » .

(٢) فوف : رقق . والبرد : الثوب

(٣) مقيل : مكان القيلولة وهو هنا بمعنى منزل .

(٤) ضاف : سابغ .

(٥) اللها جمع لهوة : العطايا .

(٦) خفض العيش : يسره ودعته .

(٧) أقض : خشن .

(٨) يشير إلى قيام أبى الحزم بشئون قرطبة بعد الفتنة الطويلة آخر عصر بنى أمية هناك .

(٩) يتصنع فى هذا البيت لما هو معروف عند أهل الحديث من الرواية وسلسلة السند .

هُمامٌ إذا زانَ الندىَّ بمَبْوَةٍ ... ترجَّح فى أثنائها الحَسَبُ العِدُّ[1]

زعيمٌ لأبناء السيادة بارعٌ ... عليهم ، به تُثنى الخناصر إن عُدُّوا

بعيدُ منال الحال دَانِي جَنى النَّدَى ... إذا ذُكِرَتْ أخلاقهُ خَجِلَ الوَرْدُ

مُمِرٌّ[2] لمن عاداه إذْ أولياؤُهُ ... يلذُّ لهم كالماء شِيبَ به الشَّهْدُ

إذا اعترف الجانى عفا عَفْوَ قادرٍ ... عَلا قدرهُ عن أن يَلِجَّ به حِقْدُ

له عَزْمَةٌ مطويَّةٌ فى سكينةٍ ... كما لانَ مَتْنُ السَّيْفِ واخْشَوْشَنَ الحَدُّ

ذراعٌ — لما يأتى به الدَّهرُ — واسعٌ ... و باعٌ — إلى ما يحرِزُ الفَخْرَ — مُمتَدُّ

هو الملكُ المشفوعُ بالنُّسْكِ[3] مُلكُهُ ... فلله ما يَخْفَى ولله ما يَبْدُو

إلى الله أوَّابٌ ، ولله خائفٌ ... و بالله مُعْتَدٌّ ، وفى الله مُشْتَدُّ

لقد أوسعَ الإسلامَ بالأمس حِسْبَةً ... نَحَتْ غَرَضَ الأجْرِ الجزيلِ فلم تَعْدُ

أباحَ حِمَى الخمرِ الخبيثةِ ، حائطاً ... حِمَى الدِّينِ من أن يُستَباحَ له حَدُّ[4]

فطوَّقَ باستئصالها المِصْرَ مِنَّةً ... يكاد يُؤَدِّى شكرها الحجَرُ الصَّلْدُ

مَظِنَّةُ آثامٍ وأُمُّ كبَائرٍ ... يُقَصِّر عن أدْنى معايبها القَدُّ

غَنِيٌّ ، فحُسْنُ الظَّنِّ بالله مالُهُ ... عَزِيزٌ ، فصَنْعُ الله من حوله جُنْدُ

مَسَاعٍ أجَدَّتْ زينةَ الأرضِ ، فالحصى ... لآلىء نَثْرٌ ، والثَّرى عَنْبَرٌ وَرْدُ

لدى زهراتِ الرَّوْضِ عنها بِشَارَةٌ ... وفى نَفَحاتِ المِسْكِ من طيبها وَفْدُ

فَدَيْتُكَ إنى قائلٌ فمعرِّضٌ ... بأوْطَارِ نَفْسٍ منك لم تَقْضِها بَعْدُ

---

(١) العد : الكثير .

(٢) ممر : من المرارة .

(٣) بدأ يمدحه بالتقوى .

(٤) يشير هنا إلى أمر ابن جهور بكسر دنان الخمر ، والحد : مفرد الحدود وهى ضروب التأديب والعقاب التى أمر الشارع بها .

مُنًى كالشَّجَا[١] دون اللَّهاة تعرَّضَتْ ... فلم يَكُ للصدور من نَفْثِها بُدُّ
أَمِثْلِيَ عَقْلٌ خاملُ الذِّكْرِ ضائعٌ ... ضياعَ الحُسَامِ العَضْبِ[٢] أَصْدَأَهُ الغِمْدُ
أنا السيفُ لا يَنْبُو مع الهَزِّ غَرْبُهُ[٣] ... إذا ما نَبَا السَّيْفُ الذى تَطْبَعُ[٤] الهِنْدُ
بَدَأْتَ بنُعْمَى غَضَّةٍ[٥] إنْ تُوَالِهَا ... فحسنُ اللآلى أن يوالِيَها سَرْدُ[٦]
لعمرك ما للمال أسمى فإنَّما ... يرى المالَ أَسْنَى حَظَّه الطَّبِعُ الوَغْدُ
ولكن لحالٍ[٧] إن لبستُ جمالها ... كَسَوْتَكَ ثَوْبَ الصُّبْحِ أعلامُهُ الحَمْدُ

شكر

وأنال أبو الوليد الشاعر أمنيته ، ولبى ملتمسه ، فجعله وزيره ، وأسلمه زمام دولته ، فكاد يطير فرحاً ، وفى غمرة هذا الفرح ذهب يقول من قصيدة فيه :

يا بنى جَهْوَرٍ الدنيا بكُمْ ... حَلِيَتْ أيامُها بعد العَطَلْ[٨]
إنما دولتُكم واسِطَةٌ[٩] ... أهدتِ الحُسْنَ إلى عِقْدِ الدُّوَلْ
نحنُ من نعمائكم فى زَهْرَةٍ ... جَدَّدَتْ عَهْدَ الربيعِ المُقْتَبَلْ
لىَ ذِكْرٌ بالذى أَسْدَيْتَهُ ... نابهٌ ، ودَّ حسودٌ لو خَمَلْ
فقَبِلْتُ اليَدَ[١٠] من بَطْنِ يَدٍ ... ظَهْرُهَا — الدهرَ — محلٌّ للقُبَلْ
كُلُّنا يُبْلِغُ ما أَمَّلَهُ ... فابلُغِ الغايةَ من كل أملْ

---

(١) الشجا : ما يعترض فى اللهاة أو الحلق .
(٢) العضب : القاطع .
(٣) الغرب : الحد .
(٤) تطبع : تصنع .
(٥) غضة : فاخرة .
(٦) سرد : تتابع .
(٧) يشير إلى الوزارة .
(٨) العطل : ضد الزينة .
(٩) واسطة العقد ، أثمن جوهرة فيه .
(١٠) اليد : النعمة .

تهنئة

فارق الشاعر قرطبة وحبه اليائس فيها إلى إشبيلية ، فنزل بساحة المعتضد ملكها ، فقربه منه ، بل جعله وزيره وأغدق عليه من رضاه وإحسانه ما جعله يلهج بالشكر والثناء عليه ، بل بالمحبة والإخلاص له ، فقد رفعه إلى مكان علىّ لا تتطاول إليه الأعناق . ووفاء بهذا الصنيع كان ابن زيدون يدبج فيه مدائحه ، ويذيعها فى المناسبات المختلفة ، حين ينتصر على أعدائه وكان كثير الحروب مظفراً ، وحين يقبل العيد وتعم مسراته . وهذه إحدى مدائحه يهنئه فيها بعيد الأضحى ، وقد بلغ الغاية فيها من حيث السبك والتجويد ، يقول :

أما فى نَسيم الرِّيح عَرْفٌ[1] مُعَرَّفُ ... لنا: هل لذات الوَقْف[2] بالجِزْع مَوْقِفُ

فنقضىَ أوطارَ المُنَى من زيارةٍ ... لنا كَلَفٌ[3] منها بما نتكَلَّفُ

ضمانٌ علينا أن تُزَارَ ودونها ... رِقاقُ الظُّبَا[4] والسَّمْهَرِىُّ[5] المثقَّفُ

وقومٌ عِدًى يُبْدُون[6] عن صفحاتهمْ ... وأزهرُها[7] من ظُلْمَةِ الحِقْدِ أكْلَفُ[8]

غَيَارى يَعُدُون الغرام جَرِيرَةً ... بها والهوى ظُلْماً يَفِيظُ ويُؤْسِفُ

يودُّون لو يَثْنِى الوعيدُ زِماعنا[9] ... وهيهات، ريحُ الشوقِ من ذاك أعْصَفُ

وفى السِّيَرَاء[10] الرَّقْمِ وَسْطَ قبابهم ... بعيدُ مَناط القُرْط أحْوَرُ أوْطَفُ[11]

---

(١) العرف : الشذى والرائحة الطيبة .
(٢) الوقف : سوار من عاج ، والجزع : منعطف الوادى .
(٣) كلف : ولع .
(٤) الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف .
(٥) السمهرى : الرمح ، والمثقف : المقوم .
(٦) يبدون عن صفحاتهم : كناية عن العداوة .
(٧) أزهر : مشرق .
(٨) أكلف : أسود .
(٩) الزماع : العزم على الزيارة .
(١٠) السيراء : ثوب مخطط ، والرقم ، المرقوم أى المعلم .
(١١) مناط القرط : معلقه ، وبعده كناية عن طول العنق ، وأوطف : طويل شعر أهداب العين .

وليلةَ وافَتْنا الكَتِيبَ لَمَوْعِدٍ ... سُرَى الأَيْمِ[1] لم يُعْلَمْ لَمَسْرَاهُ مَزْحَفُ

تَهادَى أُناةَ الخَطْوِ مُرتاعَةَ الحَشَا ... كما رِيعَ يَعْفُورٌ[2] الفَلا المُتَسَوِّفُ

فما الشمسُ رَقَّ الغَيْمُ دون إياتِها[3] ... سوى ما أَرى ذاكَ الجبينُ المنصَّفُ[4]

فديتُكِ ! أَنَّى زُرْتِ نورُكِ فاضِحٌ ... وعَطرُكِ نَمَّامٌ وحَلْيُكِ مُرْجِفُ

لَجَاجٌ تمادى الحبُّ فى المعشر العِدَى ... وأَمُّ الهوى الأَفْقَ الذى فيه نُشْنَفُ[5]

كفانا من الوصل التحيَّةُ خُلْسَةً ... فيُومِيءُ طَرْفٌ أو بنانٌ مُطَرَّفُ[6]

خليلىَّ مَهْلاً لا تلومَا فإنَّنى ... فؤادى أليفُ البَثِّ والجسْمُ مُدْنَفُ[7]

وأعنفُ ما يَلْقَى المحبُّ لجاجةً ... على نفسه فى الحبِّ حين يُعَنَّفُ

وإنى ليَسْتَهوينىَ البَرْقُ صَبْوَةً ... إلى بَرْقِ ثَغْرٍ إنْ بَدَا كاد يَخْطَفُ

وما وَلَعِى بالرَّاح إلا تَوَهُّمٌ ... لظَلْمٍ[8] به كالرَّاح لو يُتَرَشَّفُ

ويُذْكرنى العِقْدَ المُرِنَّ جُمانُهُ[9] ... مُرِنَّاتُ وُرْقٍ[10] فى ذُرَى الأَيْكِ تَهْتِف

وماقَبْلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى البَدْرَ هَوْدَجٌ ... ولاصانَ رِيمٌ[11] القَفْرِ خِدْرٌ مُسَجَّفُ[12]

---

(١) الأيم : الحية وذكر الأفعى .

(٢) يعفور : ظبى .

(٣) إياة الشمس : حسنها وضوءها .

(٤) المنصف : الذى عليه النصيف وهو الخمار .

(٥) نشنف : نبغض ، وأم : قصد .

(٦) مطرف : مصبوغ بالحناء .

(٧) مدنف : مريض من الوجد والجوى .

(٨) الظلم : الريق وماء الأسنان .

(٩) الجمان : حب اللؤلؤ .

(١٠) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .

(١١) ريم : ظبى .

(١٢) مسجف : عليه ستور .

ولا قبل عَبَّادٍ حَوَى البَحْرَ مجلسٌ ... ولا حَملَ الطَّوْدَ المعظَّم رَفْرَفُ[١]

هُمامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ منه وأَهْلَهُ ... مليكٌ فقيهٌ كاتبٌ مُتَفَلْسِفُ

يَنِيهُ بمَرْقاهُ سَرِيرٌ ومِنْبَرٌ ... ويَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ ومُصْحَفُ

رَوِيَّتُهُ فى الحادث الإِدِّ[٢] لَحْظَةٌ ... وتوقيعه الجالى دُجَى الخطبِ أحْرُفُ[٣]

يَذِلُّ لهُ الجَبَّارُ خيفةَ بَأْسِه ... ويَعْنُو إليــه الأَبْلَجُ المُتَعَطِّرِفُ[٤]

أَغَرُّ متى تَدْرُسْ دواوين مَحْدِهِ ... يَرُقْنا غريبٌ مُجْمَلٌ أو مُصَنَّفُ[٥]

إذا نحن قَرَّظْنــاهُ قصَّرَ مُطْنِبٌ ... ولم يتجاوز غايةَ القَصْدِ مُسْرِفُ

وأروعُ لا الباغى أَذَاهُ مُبَلِّغٌ ... مُنَاهُ ولا الرَّاجى نَدَاهُ مُسَوِّفُ

مُمِرٌّ[٦] القُوَى لا يملأُ الخطبُ صَدْرَهُ ... وليس لأمرٍ فائتٍ يَتَلَهَّفُ

له ظلُّ نُعْمَى يذكر الهمَّ[٧] عندَهُ ... ظلالَ الصِّبا بل ذاك أَنْدَى وأَوْرَفُ

جحيمٌ لعاصيه يُشَبُّ وَقُودُهُ ... وجَنَّةُ عَـدْنٍ للمطيعين تُزْلَفُ[٨]

محاسنُ، غَرْبُ[٩] الذَّمِّ عنها مُفَلَّلٌ ... كَهَامٌ[١٠]، وشَمْلُ المَجْدِ فيها مُؤَلَّفُ

---

(١) الرفرف هنا : العرش ، وطود : الجبل العظيم .

(٢) الإد : العظيم أو الفظيع .

(٣) يقول إن توقيعاته موجزة ، يريد أنه بليغ

(٤) يعنو : يخضع ، والأبلج المتعطرف : السيد الشريف .

(٥) تصنع هنا بذكر غريب المصنف ، وهو كتاب لأبى عبيد القاسم بن سلام .

(٦) ممر القوى : أصله شديد الفتل ، فهو وصف من أوصاف الحبل . ويريد به أنه مستحكم القوى .

(٧) الهم : الشيخ الكبير .

(٨) تزلف : تقرب .

(٩) غرب الذم : حده .

(١٠) كهام : كليل .

تناهَتْ فعقْدُ المجد منها مُفَصَّلٌ[١] ... سَنَاءٌ وبُرْدُ الفخر فيها مُفَوَّفُ[٢]
طَلاقةُ وَجْهٍ فى مَضاءٍ كمثل ما ... يروقُ فِرِنْدُ[٣] السَّيْف والحدُّ مُرْهَفُ
على السَّيف من تلك الشَّهامةِ مِيسَمٌ ... وفى الروض من تلك الطلاقة زُخْرُفُ
سجايا لمن وَالاهُ كالأَرْى[٤] يُجْتَنَى ... تعود لمن عاداه كالشَّرْى[٥] يُنْقَفُ
فقل للملوك الحاسديهِ متى أُدَّعى ... سباقَ العتيقِ[٦] الفائتِ الشَّأْوِ مُقْرِفُ[٧]
أليس بنو عَبَّادٍ القِبْلَة التى ... عليها لآمال البريَّةِ مَعْكَفُ[٨]
ملوكٌ يُرَى أحياؤهم فخرَ دَهْرِهِمْ ... ويَخْلُفُ مَوتاهم ثناءٌ مُخَلَّفُ
بهم باهتِ الأرضُ السماءَ فأَوْجُهٌ ... شموسٌ وأَيْدٍ من حَيَا[٩] المُزْنِ أَوْكفُ[١٠]
أشارحَ معنى المَجْدِ وهُوَ معمَّسٌ[١١] ... ومُجْزِلَ حَظِّ الحَمْدِ وهْوَ مُسَفْسِفُ[١٢]
لَعَمْرُ العِدَى المُسْتَدْرجيكَ بزَعْمِهِمْ ... إلى غِرَّةٍ[١٣] كادتْ لها الشمسُ تُكْسَفُ
لَكالوكَ صاعَ القَدْرِ لُؤْمَ سَجِيَّةٍ ... وكِيلَ لهم صاعُ الجزاءِ المُطَفَّفُ[١٤]

---

(١) المفصل : من فصلة وهى الخرزة تفصل بين الخرزتين فى العقد .
(٢) مفوف : رقيق مزدان .
(٣) فرند السيف : جوهره ولمعانه .
(٤) الأرى : العسل .
(٥) الشرى : الحنظل ، وينقف : يشق لأخذ ما فى داخله .
(٦) العتيق : النجيب ، والشأو : الغاية ، والفائت الشأو : السابق .
(٧) مقرف : هجين غير أصيل .
(٨) معكف : عكوف .
(٩) حيا : غيث .
(١٠) أوكف : أغزر .
(١١) معمس : مبهم ملتبس .
(١٢) مسفسف : هابط ونازل .
(١٣) غرة : غفلة ، وقد بدأ يتكلم عن حروب المعتضد وانتصاراته ، ويظهر من القصيدة أن العيد ألم بهم بعد حرب وظفر بالأعداء .
(١٤) المطفف هنا : الكامل التام .

أَظَنَّ الأعادى أن حَزْمك نائمٌ ... لقد تَعِدُ الفَسْلَ[1] الظنونُ فتُخْلِفُ
تحمَّلتَ عِبْءَ الدَّهر عنهم وكلُّهمْ ... بنُعماك موصول التنعُّم مُتْرَفُ
فإن يكفروا النُّعْمَى فتلك ديارُهُمْ ... بسيفك قاعٌ صَفْصَفُ الرَّسْم تُنْسَفُ
وبُشْرَاكَ عِيدٌ بالسرور مُظَلَّلٌ ... وبالحظ فى نَيْل المُنَى مُتَكَنِّفُ[2]
بشيرٌ بأعْيادٍ تُوَافيك بعدَه ... كما يَنْسُقُ النِّظْمَ المُوالى ويَرْصُفُ
كريمٌ يَعُدُّ الحمدَ أنفسَ قُنْيَةٍ[3] ... فيُولَع بالفعل الجميل ويُشْغَفُ
غدا بخميسٍ[4] يُقْسِم الغَيْمُ إنَّهُ ... لأحفلُ منه مُكْفَهِرًّا[5] وأكْثَفُ
هو الغيم من زُرْق الأسِنَّةِ بَرْقُهُ ... وللطَّبْل رَعْدٌ فى نواحيه يَقْصِفُ
ولما قَضَيْنَا ما عَنَانا أداؤُهُ[6] ... وكلٌّ بما يرضيك داعٍ فمُلْحِفُ[7]
قرنَّا بحمد الله حمدَكَ إنَّهُ ... لأَوْكَدُ ما يُحْظِى لديه ويُزْلِفُ
وعُدْنا إلى القَصْر الذى هو كَعْبَةٌ ... يغاديه منا ناظرٌ أو مطرَّفُ[8]
فإذْ نحن طالعناه والأُفْقُ لابِسٌ ... عَجاجتَهُ[9] والأرضُ بالخيل تَرْجُفُ
رأيناك فى أعلى المُصَلَّى كأنما ... تطلَّعَ من مِحراب داودَ يوسفُ
ولما حَضَرْنا الإذْنَ، والدَّهْرُ خادمٌ ... تُشِيرُ فيُمْضِى والقضاء مُصَرِّفُ

---

(١) الفسل : الدنىء الرذل .
(٢) متكنف : مشمول .
(٣) قنية : مكسب .
(٤) خميس : جيش .
(٥) مكفهرا : مسودا .
(٦) يريد أداء الصلاة فى العيد .
(٧) ملحف : ملح .
(٨) مطرف هنا : شاخص ذهولا ، وفى رواية معطوف بتشديد الواو المكسورة .
(٩) العجاجة : الغبار فى الحرب . .

وَصَلْنا فقبَّلنا النَّدَى منك فى يَدٍ ... بها يُتْلَفُ المـالُ الجسيم ويُخْلَفُ
لقد جُدْتَ حَتى ما بنفسٍ خصاصةٌ[١] ... وأَمَّنْتَ حتى ما بقلبٍ تَخوُّفُ
ولولاكَ لم يَسْهُلْ من الدهر جانبٌ ... ولاذلَّ مُنقادٌ ولا لانَ مِعطَفُ[٢]
لكَ الخَيْرُ أنَّى لى بشكرك نَهضةٌ[٣] ... وكيف أؤدى فرض ما أنت مُسْلِفُ
أَعَدْتَ بَهيمَ[٤] الحال منى غُرَّةً ... يقابلها طَرْفُ الجَموحِ فيُطْرَفُ[٥]
وبَوَّأتَهُ دُنْيـاكَ دارَ مُقامةٍ ... بحيثُ دَنَا ظِلٌّ وذُلِّلَ مَقْطَفُ
وكم نعمةٍ أَلْبَسْتُها سُندُسِيَّةٍ ... أُسَرْبِلُها[٦] فى كل حينٍ وأُلْحِفُ
مَواهبُ فيَّاض اليـدين ، كأنمـا ... من العُزْنِ تُمْرَى[٧] أومن البحر تُغْرَفُ
فإن أكُ عَبْدًا قد تَمَلَّكْتَ رِقَّهُ ... فأرفعُ أحوالى وأسْنَى وأشْرَفُ

تحيـــة

نظم الشاعر هذه القصيدة يحيي بها المعتضد حين انتصر ابنه إسماعيل على ابن الأفطس صاحب بطليوس ، وقتل ابن أحد الأمراء الذين كانوا يؤازرونه ، وهو العزّ بن إسحق بن عبد الله ، يقول :

لِيَهْنِ الهُدَى إنجاحُ سَعْيِكَ فى العِدَى ... وأنْ راحَ صُنْعُ اللهِ نحوَكَ واغْتَدَى[٨]
وبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةُ العَهْدِ طَلْقَةٌ ... كما ابتسمَ النَّوَّارُ عن أَدْمُعِ النَّدَى

---

(١) خصاصة : فقر .
(٢) المعطف هنا : السيف .
(٣) نهضة : قدرة .
(٤) بهيم : أسود ، والغرة : بياض الجبهة .
(٥) يطرف : يريد كأنما أصاب طرفه عود ، فهو محملق ذاهل .
(٦) أسربلها : ألبسها .
(٧) تمرى : تدر وتسكب .
(٨) راح صنع الله واغتدى نحوه : كناية عن عنايته به ورعايته فى الغدو والرواح .

ودولةُ سَعْدٍ لا انتهاء لحَدِّهِ ... إذا قِيلَ فيه قد تناهى تولَّدَا

دعوتَ ، فقال النَّصرُ لبَّيْكَ ماثِلاً ... ولم تَكُ كالداعى يجاو به الصَّدَى[1]

وأحْمدْتَ عُقْبَى الصَّبْرِ فى دَرَكِ المُنَى ... كما بلغ السَّارى الصباحَ فأَحْمَدَا

أعَبَّادُ ! يا أَوْقَى الملوكِ بذِمَّةٍ ... وأرعاهُمُ عَهْدًا وأَطْوَلَهمْ يَدَا

تباينتَ فى حَالَيْكَ : غُرْتَ[2] تواضعاً ... لتستوفىَ العَلْيا وأَنْجَدْتَ سُؤْدُدَا

ولما اعتَضَدْتَ اللهَ كنتَ مؤهَّلاً ... لديه لأن تُحْمَى وتُكْفَى وتُعْضَدَا

وكم ساعدَ الأعداءَ أوَّلَ مُطْمَعٍ ... رأوك بعُقْباهُ أحقَّ وأَسْعَدَا

فلا ظافرٌ إلا إلى سَعْدِك اعْتَزَى ... ولا سائِسٌ إلا بتدبيرك اقتَدَى

ضلالاً لمتونٍ[3] سَمَوْتَ بحالِهِ ... إلى أنْ بَدَتْ بين الفراقد فَرْقَدَا

فَزَلَّ وقد أمطيتَه ثَبَجَ السُّها[4] ... وضَلَّ وقد لقيته قَبَسَ الهُدَى

تَجَنَّى فأَهْدَيْتَ النَّصيحةَ مَحْضَةً ... ولَجَّ فَوَالَيْتَ العِقابَ مُرَدَّدَا

رأى أنه أَضْحَى هِزَبْرًا[5] مُصَمِّماً ... فلم يَعْدُ أن أمسى ظَلِيماً[6] مُشَرَّدَا

يودُّ إذا ما جنَّه الليلُ أنَّهُ ... أقام عليه آخرَ الدهر سَرْمدا

يحاذرُ أن يُلْفَى قتيلاً مُعفَّرًا[7] ... إذا الصُّبْحُ وافى أو أسيراً مُقَيَّدَا

---

(١) الصدى هنا : رجع الصوت .

(٢) غرت : من الغور وهو منخفض الوادى ، فهى ضد أنجدت .

(٣) يريد ابن الأفطس .

(٤) ثبج السما : أعلاه ، والسما : نجم .

(٥) هزبر : أسد .

(٦) الظليم : ولد النعام .

(٧) معفرا : من العفار ، وهو التراب .

لبئسَ الوفاءُ استنَّ[١] فى ابن عقيدِهِ[٢] عشيَّةَ لم يُصْدِره من حيث أَوْرَدا

قَرينٌ له أَغواهُ حتى إذا هَوَى تبرَّأَ يعتَدُّ البراءةَ أَرْشَـــدَا

فأصبحَ يبكيه المصابُ بشُكْلِهِ بُكاءَ لَبيدٍ[٣] حين فارقَ أَرْبَدَا

فداءٌ لإسماعيـــــلَ كلُّ مُرَشَّحٍ إذا جُشِّم الأمرَ الجسيم تَبَلَّدَا

كرهتَ لسيف المُلكِ أُلْفَةَ غِمْدِه وقلَّ غَناءُ السيف ما كان مُغْمَدا

ولم ترَ للشِّبْل الإقامةَ فى الشَّرَى[٤] فجدَّ افتراساً حين أَصْحَرَ[٥] للعِدَا

هُمامٌ إذا حاربْتَ فارْفَعْ لواءَهُ فما زال منصورَ اللواء مُؤَيَّدَا

ولم نر سَيْفاً باتكَ[٦] الحدِّ قَبْلَهُ تنـــاول سَيْفاً دونه فتقلَّدَا

ابْن أنجزَتْ منـــه الشمائلُ آخِرًا لقد قَدَّمتْ منه المخايلُ مَوْعدَا

قَرَرْتَ به عَيْناً ! فكم سادَ عِتْرَةً وكم ساسَ سُلْطاناً وكم زانَ مَشْهَدَا

وأُعْطِيتُما فيما تُرِيغـــانِهِ[٧] الرِّضَا وبُلِّغْتما مما تُريدانه المَـــدَى

---

(١) استنّ : اعتنق .

(٢) عقيده : حليفه وهو إسحق بن عبد الله أمير قرمونة .

(٣) اشتهر لبيد الشاعر الجاهلى ببكائه على أخيه أربد ورثائه له .

(٤) الشرى : الغيل أو الغابة .

(٥) أصحر : برز .

(٦) باتك : قاطع .

(٧) تريغانه : تطلبانه .

٤ — نماذج الرثاء

تعزية

نظم ابن زيدون هذه القصيدة حينما توفى أبو الحزم وولى ابنه أبو الوليد من بعده سنة ٤٣٥ للهجرة وهو فيها يعزى عن الفقيد ، ويعدد مناقبه ، ويعرض لفضائل أبي الوليد ، ويلمح للصنيعة التى يريدها منه . ويظهر أنه كان يعجب بصياغة هذه القصيدة ، فرثى أم أبي الوليد بأخرى على وزنها ورويها ، وكرر فيها كثيراً من أبياتها . ولما توفى المعتضد عزى المعتمد وهنأه بقصيدة على وزنهما ورويهما ، واستعان فيها هى الأخرى بالقصيدتين الأوليين ، ولاحظ ذلك ابن بسام فتمثل بقول أبي العلاء :

رُبَّ لَحْدٍ قد صارَ لَحْدًا مرارًا ضـــاحكٍ من تزاحم الأضْدادِ

وربما كان السبب الذى حدا بابن زيدون إلى ذلك أنه أعجب بهذه القصيدة التى نحن بصددها فتقيد بألفاظها ومعانيها كلما حاول رثاء مهمّا ، وهى تجرى على هذه الصورة :

ألم تَرَ أنَّ الشمس قد ضمَّها القَبْرُ وأنْ قد كفانا فَقْدَها القَمَرُ البَدْرُ
وأنَّ الحيا[1] إن كان أقْلَعَ صَوْبُهُ[2] فقد فاض للآمال فى إثْرِهِ البَحْرُ
إساءةُ دَهْرٍ أحْسَنَ الفِعْلَ بَعْدَها وذَنْبُ زمانٍ جاء يَتْبَعُهُ العُذْرُ
فلا يَتَهَنَّ الكاشحون[3] فما دَجَا لنا اللَّيْلُ إلا رَيْثَمَا طَلَعَ الفَجْرُ
وإن يَكُ وَلَّى جَهْوَرٌ فمحمَّدٌ خليفته العَدْلُ الرِّضَا وابنُه البَرُّ
فَتًى يَجْمَعُ المَجْدَ المفرَّقَ هَمُّهُ ويُنْظَم فى أخلاقِهِ السُّؤْدُدُ النَّثْرُ
أهابتْ إليه بالقلوب محبَّةٌ هىَ السِّحْرُ للأهواء بل دونها السِّحْرُ
سرَتْ حيثُ لا تَسْرِى من الأنفُسِ المُنَى ودَبَّتْ دَبِيباً ليس تُحْسِنُهُ الخَمْرُ

---

(١) الحيا : المطر .
(٢) صوبه : انصبابه ودفقه المطر .
(٣) الكاشحون : الأعداء .

لبِسْنا لديه الأَمْنَ تَنْدَى ظِلالُهُ ... وزَهْرَةَ عَيْشٍ مثلما أَيْنَعَ الزَّهْرُ
وعادتْ لنا عاداتُ دُنْيا كأنها ... بها وَسَنٌ أو هزَّ أَعْطَافَها سُكْرُ
مَليكٌ له مِنَّا النصيحةُ والهوى ... ومنه الأيادى البيضُ والنِّعَمُ الخُضْرُ
فقل للحيارَى : قد بَدَا عَلَمُ الهُدَى ... وللطامع المغرور : قد قُضِيَ الأَمْرُ
أبا الحَزْمِ قد ذابتْ عليك من الأَسَى ... قلوبٌ مُنَاها الصَّبر لو ساعدَ الصَّبْرُ
دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعْ بالذخائر أهلَهُ ... فما لنفيسٍ مذ طواك الرَّدَى قَدْرُ
تهونُ الرَّزايا بعدُ ، وهْى جليلةٌ ... ويُعْرَف مذ فارقْتَنا الحادثُ النُّكْرُ
فَقَدْ ناكَ فِقْدانَ السحابة لم يَزَلْ ... لها أثَرٌ يُثْنِي به السَّهْلُ والوَعْرُ[1]
مَساعيك حَلْيٌ لليالى مُرَصَّعٌ ... وذِكْرُك فى أَرْدانِ[2] أيامها عِطْرُ
فلا تَبْعَدَنْ إن المنيَّةَ غايةٌ ... إليها التناهِى طال أو قَصُر العُمْرُ
عزاءٌ فَدَتْكَ النفسُ عَنْهُ فإن ثوَى ... فإنك لا الوانى ولا الضَّرِعُ[3] الغَمْرُ
وما الرُّزْءُ فى أن يُودَعَ التُّرْبَ هالكٌ ... بل الرُّزْءُ كلُّ الرُّزْءِ أن يَهلكَ الأَجْرُ
أمامك من حفظ الإلٰه طليعةٌ ... وحولك من آلائه عَسْكَرٌ مَجْرُ[4]
وما بك من فَقْرٍ إلى نصْرِ ناصرٍ ... كفتكَ من الله الكَلاءةُ[5] والنَّصْرُ
لك الخيرُ إنى واثقٌ بك شاكرٌ ... لِمَثْنَى[6] أياديك التى كُفْرُها الكُفْرُ

---

(١) مأخوذ من قول الشاعر :

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة ... أثنى عليها السهل والأوعار

(٢) أردان : أكمام .

(٣) الضرع : الضعيف ، والغمر : من لم يجرب الأمور .

(٤) المجر : الكثير .

(٥) الكلاءة : الرعاية .

(٦) مثنى : مضاعف .

تحامَى العِدا ، لما اعتلقْتُك ، جانبى ... وقال المُناوِى: شبَّ عن طَوْقِهِ عمرو[١]

يَلينُ كلامٌ كان يَخْشُنُ منهمُ ... ويَفتُرُ نحوى ذلكَ النظرُ الشَّزْرُ[٢]

فصدِّق ظُنُوناً لى وفِىَّ فإننى ... لأَهْلُ اليد البيضاء منك ولا فَخْرُ

ومَنْ يَكُ الدنيا وللوَفْرِ[٣] سَعْيُهُ ... فتَقريبُك الدنيا وإقْبالُكَ الوَفْرُ

صبر جميل

ماتت أم المعتضد ، فرثاها الشاعر بقصيدة طويلة تحدث فيها عن تقواها ومساعدتها للفقراء والبؤساء وأنها لم تمت إلا وهى قريرة العين بابنها وسلطانه على البلاد والعباد ، وفى أثناء ذلك كان يعزيه ويدعوه إلى الصبر والرضا بالأمر الواقع ، ومن قوله فيها :

أُصِبْنا بما لو أنّ هَضْبَ مُتالعٍ[٤] ... أُصِيبَ به لانهدَّ أو لتَضَعْضَعَا

مَنارٌ من الإيمان لم يَعْدُ أن هَوَى ... وحَبْلٌ من التَّقْوَى وَهَى فتقطَّعَا

وشَمْسُ هُدًى أَمْسَى لها التُّرْبُ مَغْرِباً ... وكان لها المحرابُ فى الخِدْرِ مَطْلَعَا

لَتَبْكِ الأيامَى[٥] واليتامَى فقيدةً ... هى المُزْنُ أَحْيَا صَوْبُهُ ثم أَقْشَعَا[٦]

---

(١) هذا مثل قديم ، ومعناه واضح .

(٢) النظر الشزر : النظر الغاضب وما فيه إعراض .

(٣) الوفر : المال .

(٤) متالع : جبل فى نجد .

(٥) الأيامى : جمع أيم وهى من لا زوج لها .

(٦) أقشع صوب المزن : انكشف بعد صب المطر وهطوله .

مُسَبِّحَةَ الآناء [١] قانتةَ الضُّحَى ... ثَوَتْ فَثَوَى مَغْنى التأوُّهِ بلقعاً [٢]

تَبِيتُ مع الإخبات [٣] مُسْعَرَةَ الحشا ... تقيَّةَ مَنْ يَخْشى إلى الله مَرْجِعاً

إذا ما هى استوفَتْ من البرِّ غايةً ... تأَتَّتْ لأخرى ، لا ترى تلك مَقْنَعاً

أَصَرْف [٤] الرَّدَى لو أن للسَّيفِ مَضْرِباً ... لما رُعْتَنا أو أنَّ فى القوس مَنْزَعا

ولكن وطِئْتَ المَلْكَ من حيث لا يَرَى ... فلم يستطع للحادث الحتمِ مَدْفَعاً

لَعَمْرُ التى ودَّعْتَ أمسِ مُفارقاً ... لقد وَرَدَتْ حَوْضَ السعادة مَشْرَعا [٥]

تَمَنَّتْ وفاةً فى حياتك بعد ما ... حَشَدْتَ لها الآمالَ مَرْأًى وَمَسْمَعا

فوفَّيتها ما لم تَدَعْ لضميرها ... إلى غاية من بعـــدِهِ مُتَطَلَّعا

تروح أميراً فى البلاد محكَّماً ... وتغدو شفيعاً فى الذنوب مشفَّعا

عزاء ، فَدَتْكَ النَّفْسُ ، عَزْمَ مُسَلِّمٍ ... لموقع أمرٍ لم يَزَلْ مُتَوَقِّعا

متى ظَنَّتِ الأيامُ أنك جازعٌ ... أو استشعرتْ فى قَلِّ صَبْرِك مَطْمَعا ؟

وما كنتَ أهلا أن يُصيبك حادثٌ ... فتصبحَ منه مُقْصَدَ [٦] القَلْبُ مُوجَعا

فلولاك لم يَسْمح من الدهر جانبٌ ... ولا اهتز أعطافاً ولا لانَ أخْدَعا [٧]

---

(١) الآناء : آناء الليل ، وهى ساعاته .

(٢) يقول فى هذا الشطر: إنها ثوت أى ماتت ، فأصبح مغنى التأوهة أى منزله قفراً . وكل هذا كناية عن قنوتها وعبادتها .

(٣) الإخبات : الخشوع والتقوى .

(٤) صرف الردى : حدثانه ونائبته ، والمنزع بكسر الميم : السهم بعيد المرمى .

(٥) المشرع : المورد المطروق .

(٦) مقصد : مصاب ومنكسر .

(٧) اهتزاز العطف كناية عن السرور والرضا ، ولين الأخدع وهو عرق الوريد كناية عن الانقياد والخضوع .

ولا زلتَ ممنوعَ الحِمَى مُسْعَفَ المُنى إذا كان شانيكَ المصابَ المفجَّعَا
ودُمْتَ مُلَقَّى أنْجُمَ السَّعْدِ باقياً لدينٍ ودُنيا أنت فَخْرُهُما مَعَا

٥ — الرسالة الهزلية

أما بعد أيُّها المُصاب بعقله ، المورَّط بجَهله ، البَيِّن سَقَطه[١] ، الفاحش غَلَطُه ، العاثرُ فى ذَيْل اغتراره ، الأعمَى عن شَمْس نهاره ، الساقطُ سقوط الذُّباب على الشراب ، المتهافتُ تهافُت الفَراش فى الشِّهاب[٢] ، فإنَّ العُجْبَ[٣] أكْذَبُ ، ومعرفةَ المرء نفسَه أصوَب . وإنك راسلتنى مُسْتَهْدِياً من صلتى ماصَفِرَتْ[٤] منه أيدى أمثالك ، متصدياً من خُلّتى[٥] لما قُرِعت[٦] دونه أنُوفُ أشكالك ، مُرْسِلاً خليلتك[٧] مُرْتَادة ، مستعملا عشيقتك قوّادة ، كاذباً نفسَك أنك ستنزل عنها إلىّ ، وتخلُف بعدها علىّ :

ولستَ بأوّلِ ذِى هِمَّةٍ دَعَتْهُ لما لَيسَ بالنائلِ[٨]

---

(١) سقط القول : خطؤه .

(٢) الشهاب : الشعلة من النار .

(٣) العجب : ما يعجب الإنسان من نفسه ، ولذلك أخبر عنه بأنه أكذب أى أنه يدعو المرء إلى أن يتخيل ما لا صحة له فيكذب نفسه .

(٤) صفرت : خلت .

(٥) خلتى : مودتى .

(٦) القرع : الضرب .

(٧) يريد بالخليلة الرسول التى كان يرسل بها ابن عبدوس إلى ولادة .

(٨) البيت للمتنبى ، والنائل : ما ينال ، ومعنى البيت : ليس هو أول من هم بما امتنع عليه ورام ما لا سبيل إليه .

ولا شك أنها قَلَتْك[١] إذ لم تَضِنَّ بك ، ومَلَّتك إذ لم تغَرْ عليك ، فإنها أعذرت[٢] فى السفارة لك ، وما قصَّرتْ فى النيابة عنك ، زاعمةً أن المروءة لفظٌ أنت معناه ، والإنسانيةَ اسم أنت جِسْمُهُ وهَيُولَاه[٣] ، قاطعةً[٤] أنك انفردتَ بالجمال ، واستأثَرْتَ بالكمال ، واستَعْلَيْتَ فى مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخِلال ، حتى خيَّلَتْ أن يوسف عليه السلام حاسَنك[٥] فغضَضْتَ منه ، وأن امرأة[٦] العزيز رأتك فسَلَتْ عنه ، وأن قارونَ[٧] أصاب بعض ما كَنَزْتَ ، والنَّطِف[٨] عَثَر على فضل ما ركَزْتَ[٩] ، وكسرى[١٠] حَمَلَ غاشيتَك[١١] ، وقَيْصَر[١٢] رَعَى ماشيتَك ، والإسكندرَ قَتَل دارَا[١٣] فى طاعتك ، وأَرْدَشيرَ[١٤] جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مُسالَمتك ، وجَذِيمة[١٥] الأَبْرَشَ تَمَنَّى منادمتك ،

---

(١) قلتك : أبغضتك .

(٢) أعذر : أتى بما صار به معذوراً أى أن صاحبته بلغت الجهد فى السفارة ، وهى المشى فى الصلح .

(٣) هيولاه : مادته .

(٤) قاطعة : موقنة .

(٥) حاسنك : باراك فى الحسن .

(٦) امرأة العزيز : معروفة فى قصة يوسف وأنها شغفت به حبا .

(٧) قارون : من قوم موسى واشتهر بالكنوز والثروة الكثيرة .

(٨) النطف : رجل من تميم نهب أموالا لكسرى فى الجاهلية ، فأثرى .

(٩) ركز : من الركز وهو المال الدفين .

(١٠) من ملوك الفرس .

(١١) الغاشية : غطاء السرج ، أو المظلة .

(١٢) ملك الروم .

(١٣) ملك الفرس فى عهد الإسكندر وقد قتله .

(١٤) أردشير من ملوك الفرس الأولين ومثله الضحاك .

(١٥) من ملوك العرب فى الجاهلية .

وشِيرِينَ[١] قد نافست بُورَانَ فيك ، و بِلْقِيس[٢] غايَرَتِ الزَّبَّاء عليك ، وأن مالك[٣] بن نُوَيْرَة إنما رَدِفَ لك ، وعُرْوَةَ[٤] بن جعفر إنما رَحَلَ إليك ، وكُلَيب[٥] بن ربيعة إنما حَمَى المَرْعى بمزَّتك ، وجَسَّاساً[٦] إنما قتله بأنفَتك ، ومهلهلا[٧] إنما لاب ثأره بهمَّتك ، والسَّمَوْءَل[٨] إنما وَفَى عن عهدك ، والأَحْنَفَ[٩] إنما احْتَبَى[١٠] فى بُرْدَتك ، وحاتماً إنما جاد بوَفْرك[١١] ، وبَنِى الأضيافَ ببِشْرك ، وزَيْد[١٢] بن مُهَلْهِل إنما ركب بِفَخِذَيْك ، والسُّلَيْك[١٣] بن السُّلَكَة إنما عَدَا على رجليك ، وعامر[١٤] بن مالك إنما لاعب الأسنَّةَ بيديك ، وقَيْسَ[١٥] بن زُهَيْر إنما استعان بدهائك ، وإياس[١٦] بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك ، وسَحْبانَ[١٧] إنما تكلم

---

(١) شيرين . زوجة أبرويز ملك الفرس وبوران ابنته .

(٢) بلقيس ملكة سبأ ، والزباء ملكة تدمر

(٣) مالك . من شجعان تميم فى الجاهلية والإسلام ، قتل فى حروب الردة ، والردافة أن يكون للشريف تابع يجلس وراءه أو عن يمينه .

(٤) اشتهر بالرحلة إلى الملوك ، ولذلك يسمى عروة الرحال .

(٥) سيد بكر وتغلب .

(٦) صهر كليب وقاتله .

(٧) مهلهل أخو كليب وصاحب ثأره ، وقد أثار بطلب هذا الثأر حرب البسوس المشهورة

(٨) اشتهر السموءل صاحب حصن الأبلق الفرد بالوفاء ، فضرب به المثل فيه .

(٩) سيد تميم البصرة فى الإسلام وكان يشتهر بحلمه .

(١٠) احتبى . اشتمل أو جلس القرفصاء

(١١) الوفر : المال .

(١٢) هو زيد الخيل . من فرسان الجاهلية لحق الإسلام وأسلم .

(١٣) السليك : عداء مشهور فى الجاهلية

(١٤) يلقب بمر بملاعب الأسنة وهو من شجعان العرب فى جاهليتهم .

(١٥) قيس : سيد عبس وداهيتها فى حروبها

(١٦) قاضى البصرة فى أواخر العصر الأموى . ويشتهر بذكائه .

(١٧) سحبان : من بلغاء العرب مات فى عصر معاوية .

بلسانك ، وعمرو[١] بن الأهتم إنما سَحَر ببيانك ، وأن الصُّلحَ[٢] بين بَكْرٍ وتَغْلِب تمَّ برسالتك ، والحمالات[٣] بين عَبْسٍ وذُبْيان أُسْنِدَت إلى كَفَالتك ، وأن احتيال هَرِمٍ[٤] لعلقمة وعامر حتى رَضِيا كان ذاك عن إشارتك ، وجوابه لعمر[٥] وقد سأله عن أيهما كان يَنْفِر وقع عن إرادتك ، وأن الحجاج[٦] تقلَّد ولاية العراق بجَدِّك ، وقُتَيبة[٧] فتح ما وراء النهر بسَعْدك ، والمهلَّب[٨] أوهن شوكة الأزارقة[٩] بأَيْدِك ، وفرَّق[١٠] ذات بَيْنهم بكَيْدك ، وأن هِرْمِس[١١] أَعْطَى بَلِينُوسَ[١٢] ما أخذ منك ، وأفلاطون أورد على أرسطاليس[١٣] ما نقل عنك ، و بَطْلَيْمُوس[١٤] سَوَّى الأَصْطُرلابَ

---

(١) عمرو : من سادات تميم وخطبائها فى الجاهلية والإسلام .

(٢) هو صلح حرب البسوس .

(٣) الحمالات : الديات وكان قد احتملها هرم من سنان ممدوح زهير والحارث بن عوف فى قصة مشهورة .

(٤) هو هرم بن قطبه كان أحد من يحكم إليهم العرب فى الجاهلية لعقله ، واحتكم إليه علقمة وابن عمه عامر بن الطفيل ، وهما جميعاً من بنى عامر بن صعصعة ، فاحتال لهما حتى لا يحكم لأحدهما على الآخر ، فتكون حرب بين عشيرتيهما .

(٥) هو عمر بن الخطاب ، وقد سأله بعد إسلامه أيهما تنفر الآن لو احتكما إليك؟ فقال : لو قلت الآن كلمة لنشبت الحرب بين الحيين ، وتنفر : تغلب فى المنافرة .

(٦) والى العراق المشهور .

(٧) قتيبة : هو قتيبة بن مسلم بطل حروب الشرق فى عهد الوليد بن عبد الملك ، وكان قد ولاه على خراسان ، فأظهر بطولة نادرة فى الحروب هناك .

(٨) المهلب : أشهر قواد الأمويين فى حروب الخوارج

(٩) الأزارقة : أحد فروع الخوارج وهم أتباع نافع بن الأزرق ، والايد : القوة .

(١٠) فرق ذات بينهم : كناية عن أنه دوخهم وأضعفهم .

(١١) هرمس : من أنبياء الصابئة .

(١٢) بلينوس : خليفة هرمس .

(١٣) أفلاطون أستاذ أرسطاليس ، وهما فيلسوفان يونانيان مشهوران .

(١٤) بطليموس : فيلسوف يونانى اشتهر بالفلك والهندسة والجغرافيا ، والأصطرلاب : آلة لرصد النجوم .

بتدبيرك ، وصَوَّرَ الكُرَة على تقديرك ، وأبقراط[١] عَلِمَ العِلل والأمراض بلطف حسِّك ، وجالينوس[٢] عرف طبائع الحشائش بدقة حَدْسِكَ ، وكلاهما قَلَّدك فى العلاج ، وسألك عن المِزاج ، واستوصفك تركيبَ الأعضاء ، واستشارك فى الداء والدواء ، وأنك نَهَجْتَ لأبى مَعْشَرٍ[٣] طريق القضاء ، وأظهرْتَ جابرَ[٤] بن حَيَّان على سِرِّ الكيمياء ، وأعطيت النظَّام[٥] أصْلاً أَدْرك به الحقائق ، وجعلت لِلكِنْدِىِّ[٦] رَسماً استخرج به الدقائق ، وأن صناعةَ الألحان اختراعُك ، وتأليف الأوتار والأنقار تَوْليدُك وابتداعُك ، وأن عبد[٧] الحميد بن يحيى بارى أقلامك ، وسهل[٨] بن هرون مُدَوِّن كلامك ، وعمرو[٩] بن بَحْر مُسْتَمْليك ، ومالك[١٠] بن أنَس مُسْتَفْتيك ، وأنك الذى أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحدَّ الماهيه[١١] وبَيَّن الكيفيَّة والكَمِّيَّة ، وناظر فى الجَوْهَر والعرَض ، ومَيَّزَ الصحَّة من المرض ، وفَكَّ المُعَمَّى[١٢] ، وفَصَل بين الاسم والمُسَمَّى ، وصَرَّف وقسَّم ، وعَدَّل وقوَّم ، وصَنَّف الأسماء

---

(١) من أطباء اليونان .

(٢) آخر الحكماء وخاتم أطباء اليونان .

(٣) أبو معشر : منجم عباسى مشهور ، والقضاء هنا : القدر . وطريقاه : الخير والشر

(٤) جابر : من أعلام العرب فى الكيمياء ، ويقال بل هو اسم منحول .

(٥) النظام : أستاذ الجاحظ ، وكان يشتهر بالذكاء والعمق فى الفهم .

(٦) الكندى : أول فلاسفة العرب .

(٧) عبد الحميد : كاتب مروان بن محمد وهو أبلغ الكتاب المتقدمين ولذلك قيل بدئت الرسائل بعبد الحميد .

(٨) سهل : بليغ عباسى مشهور .

(٩) هو الجاحظ : أفصح كتاب العرب غير مدافع .

(١٠) هو مالك صاحب المذهب المشهور الذى دانت به الأندلس وبلاد المغرب .

(١١) يريد أنه حد الحدود والتعريفات ، وهو تحكم واضح .

(١٢) المعمى : الملغز من الشعر .

والأفعال ، و بوَّب الظَّرْف والحال ، وبَنَى وأَعْرَب ، و نَفَى وتَعَجَّب ، ووَصَل وقَطَع ، و ثَنَّى و جَمَع ، وأَظْهَر وأَضْمر ، واستفهم وأَخْبَر ، وأَهْمَل وقَيَّد ، وأرسل وأَسْنَد[١] ، و بَحثَ ونَظَر ، وتصفَّح الأديان ، ورجَّح بين مذهبى[٢] مانى وغَيلان ، وأشار بذَبْح الجَعْد[٣] ، وقَتْل بَشَّار بن بُرْد ، وأنك لو شِئْت خَرَقْتَ العادات ، وخالَفْتَ المعهودات ، فأَحَلْتَ البحار عَذْبَة ، وأعدت السِّلام[٤] رَطْبَة ، ونَقَلْتَ غَداً فصار أَمْسَا ، وزدت فى العناصر فكانت خَمْسا[٥] ، وأنك المقول فيه : كلُّ الصَّيْد فى جَوْف[٦] الفَرَا ، وَ :

ليسَ على الله بمُسْتَنْكَرٍ أن يجمع العالمَ فى واحِدِ[٧]

والمعنىُّ بقول أبى تمام :

فلو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لم تَزِدْها على ما فيك من كَرَم الطِّباعِ

والمراد بقول أبى الطيب :

ذُكِرَ الأنامُ لنا فكانَ قصيدةً كنتَ البديعَ الفَرْدَ من أَبْيَاتِها

فكدَمْتَ فى غير مَكْدَم[٨] ، واسْتَسْمَنْتَ ذا وَرَم ، ونَفَخْتَ فى غير

---

(١) إشارة إلى المسند فى الحديث ، والمرسل : وهو ما لم يذكر فيه أول السند .

(٢) مانى : صاحب نحلة دينية عند الفرس ، وكان ذلك قبل الإسلام ، وهو يقول بأن هناك إلهين : إله النور وإله الظلام ، وغيلان ، أول من تكلم فى القدر بين المسلمين فى العصر الأموى ، وهو دمشقى

(٣) الجعد : مولى لبنى الحكم ، تكلم فى القدر وغيره ، وتجاوز الحدود ، فقتله خالد القسرى فى العراق أثناء ولايته هناك .

(٤) السلام : الحجارة الصلبة .

(٥) العناصر فى رأى الفلاسفة أربعة : الماء والهواء والنار والتراب .

(٦) مثل يضرب فى الشىء الذى يزيد غيره أو يفضله ، والفرا : حمار الوحش .

(٧) هذا البيت لأبى نواس من قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى وزير هرون الرشيد .

(٨) مثل يضرب لمن يطلب شيئاً يعجز عنه ، والكدم : العض ، والمكدم : موضع العض .

ضَرَم[١] ، ولم تجد لريحٍ مَهَزًّا ، ولا لشَفْرَةٍ مَحَزًّا[٢] ، بل رضيتَ من الغنيمة بالإياب[٣] ، وتمنَّيت الرجوعَ بخُفَّىْ حُنَيْن[٤] ، لأنى قلت : « لَقَدْ هان من بالَتْ عليه الثعالبُ[٥] » ، وأنشدت :

على أنها الأيامُ قد صِرْنَ كلُّها عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ[٦]

ونَخَرتُ[٧] وبَسَرْتُ[٨] ، وعَبَستُ[٩] وكفَرْت ، وأبْدَأْتُ[١٠] وأَعَدْتُ ، وأَبْرَقْتُ وأَرْعَدْتُ[١١] ، « وهممتُ[١٢] ولم أفعلْ وكِدْتُ ولَيْتَنى » ، ولولا أن للجِوار ذِمَّة ، وللضِّيافة حُرْمَة ، لكان الجوابُ فى قَذَال الدُّمُسْتُق[١٣] ، والنعلُ حاضرةٌ إن عادت المقرب ، والعقوبة ممكِنة إن أصرَّ المذنب .

وهَبْها لم تلاحظْكَ بعَيْنٍ كليلةٍ عن عيوبك ، مِلْؤُها حَبِيبُها[١٤] ، وحَسَنٌ

---

(١) نفخت فى غير ضرم : أى فى رماد لا فى نار .

(٢) المحز : مكان الحز أى القطع .

(٣) مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه فى مطلبه .

(٤) مثل يضرب لمن يرجع بالخيبة .

(٥) يقال إن رجلا من بنى سليم كان يعبد صنما فبالت عليه الثعالب ، فكسره ، وسارع إلى الإسلام .

(٦) البيت من قصيدة فى الرثاء لأبى تمام .

(٧) نخرت : من النخير وهو صوت الأنف عند الغضب .

(٨) بسر : عبس وغضب .

(٩) عبس : قطب وجهه .

(١٠) أبدأت وأعدت : كررت كلاماً يسوءك .

(١١) يقال أرعد وأبرق إذا هدد .

(١٢) همت : أى همت بشىء خطير كالقتل ونحو ذلك .

(١٣) الدمستق : من قواد الروم هزمه سيف الدولة ، يريد ابن زيدون أنه لولا الحرمة لفعل بهذه المرأة فعل سيف الدولة بالدمستق ، والقذال : القفا .

(١٤) ملؤها حبيبها : ترى حبيبها كل شىء فى الحياة .

فيها مَنْ تودّ ، وكانتْ إنما حَلَّتْك بحُلاك ، ووَسَمَتْك بسماك ، ولم تُعِرْكَ شَهادة ، ولا تكلَّفَتْ لك زيادة ، بل صَدَقَتْ سِنَّ[١] بَكْرِها فيما ذكرته عنك ، ووَضَعتِ الهِناء مواضع النُّقَب[٢] بما نسبتْه إليك ، ولم تكن كاذبةً فيما أَثْنَت به عليك ، فالمُعَيْدِيُّ تسمعَ به خَيْرٌ من أن تراه ، هَجِينُ[٣] القذال ، أرْعَنُ السِّبال[٤] ، طويل العُنق والعِلاوة[٥] ، مُفْرِط الحُمْق والفَباوة ، سيِّء الجابة[٦] والسمع ، بغيضُ الهيئة ، سخيف الذهاب والمَجِيئَة ، ظاهر الوَسْوَاس مُنْتِنُ الأنفاس ، كثير المعايب ، مشهور المَثالب . كلامك تَمتَمَةٌ[٧] ، وحديثك نمغمة[٨] ، و بيانك فَهفهة[٩] ، وضَحِكُكَ قَهْقَهة ، ومَشْيُكَ هَرْوَلة ، وغِنَاك مَسْأَلة[١٠] ، ودينك زَندقة ، وعلمك مَخْرَقة[١١] :

مَسَاوٍ لو قُسِمْنَ على الغَوَانى لما أُمْهِرْنَ إلا بالطَّلاقِ[١٢]

حتى إن باقِلا[١٣] موصوفٌ بالبلاغة إذ قُرِنَ بك ، وهَبَنَّقَة[١٤] مستوجبٌ

---

(١) يقال صدقت سن بكرها أى لم تقل إلا صدقاً ، والبكر : الفتى من الإبل

(٢) مثل يضرب لمن يضع الأمر فى موضعه ، والهناء : القطران ، والنقب : مبادئ الجرب فى البعير وكانوا يداوونه بالقطران .

(٣) هجين القذال : كناية عن خسة الأصل ، والقذال : القفا .

(٤) السبال : الشارب ، يريد أنه أحمق .

(٥) العلاوة : أعلى الرأس . وطول العنق والرأس عند العر ـ ليل الحماقة .

(٦) الجابة : الإجابة .

(٧) التمتمة : التردد فى التاء وهى من معايب النطق .

(٨) الغمغمة : أن يسمع الصوت ولا تتبين الكلمات والحروف .

(٩) الفهفهة : عى فى النطق بترديد الفاء فى الكلام .

(١٠) يريد أن ماله من سؤال الناس .

(١١) مخرقة : من الخرق وهو الحمق .

(١٢) البيت لأبى تمام من قصيدة فى الهجاء .

(١٣) باقل : يضرب به المثل فى العى .

(١٤) هبنقة : يضرب به المثل فى الجهل وضعف العقل .

لاسم العقل إذا أُضيف إليك ، وطُوَيْساً[١] مأثورٌ عنه يُمْن الطائر إذا قِيسَ عليك ، فوجودك عَدَم ، والاغتباط بك نَدَم ، والخيبة منك ظَفَر ، والجنَّة معك سَقَر[٢] . كيف رأيتَ لؤمك لكرمى كِفاءَ[٣] ، وضَعَتَك لشَرفى وفاء ؟ وأنّى جهلتَ أن الأشياء إنما تنجذبُ إلى أشكالها ، والطَّيْرَ إنما تقع على أُلّافها ؟ وهلا علمت أن الشَّرْق والغَرْبَ لا يجتمعان ، وشَعَرْتَ أن المؤمن والكافر لا يتقاربان . وقلت : الخبيثُ والطيبُ لا يستويان[٤] ، وتمثَّلْتَ :

أيها المنكح الثُّرَيَّا سُهَيلاً ... عَمْرَك اللهَ كيفَ يلتقيانِ[٥]

وذكرتَ أنى عِلقٌ[٦] لا يباع ممن زاد ، وطائرٌ لا يصيده من أراد ، وغَرَضٌ لا يُصيبه إلا من أجاد ؟ ما أحسبك إلا كنتَ قد تهيّأتَ للتَّهْنِئَة ، وترشَّحْتَ للتَّرفئة[٧] ! . ولولا أن جَرْحَ العَجْماء جُبار[٨] ، للقيتَ من الكواعب ما لاقى يَسار[٩] ، فما همَّ إلا ببعض ما به هَمَمْتَ ، ولا تعرَّض إلا لأيْسَر ما له تعرَّضْتَ ،

---

(١) مغن بالمدينة فى العصر الأموى كانوا يتشاءمون منه ، وله نوادر فى الشؤم مشهورة .

(٢) سقر : جهنم .

(٣) كفاء : مكافئاً ومناظراً .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى (لا يستوى الخبيث والطيب) .

(٥) البيت لابن أبى ربيعة قاله حين تزوجت الثريا سهيل بن عمر بن عبد العزيز .

(٦) العلق : النفيس .

(٧) الترفئة : التهنئة بالزواج .

(٨) هذا نص حديث للرسول صلى الله عليه وسلم ، والعجماء : البهيمة ، والجبار : الدم الهدر ، ومعنى الحديث أنه لا قصاص فى جرح البهيمة ، وضرب به ابن زيدون المثل للدلالة على الاستهانة بابن عبدوس .

(٩) يسار : عبد آذته مولاته حين توهم أنها تحبه .

أين ادعاؤك روايةَ الأشعار ، وتعاطيك حفظَ السِّير والأخبار ، أما ثاب إليك قول الشاعر[١] :

بنو دارمٍ أكفاؤهم آلُ مِسْمَعٍ وتَعْقِدِ فى أكفائها الحَبِطاتُ

وهلا عَشَّيت[٢] ولم تغترّ ، وما أمّنك أن تكون وافدَ البراجم[٣] أو ترجع بصحيفة المتلمِّس[٤] ، وهل عَضَلَنِي[٥] هَمَّام بن مُرَّة فأقول : « زَوْجٌ من عُود خير من قُمود » .

ولَعَمْرِى لو بَلَغْتُ هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحِطَّة ، وما رَضيتُ بهذه الخطَّة ، فالنارُ ، ولا العار ، والمنيَّة ولا الدَّنيَّة ، والحُرَّة تجوعُ ولا تأكل بثَدْيَيْها . وما كنتُ لأتخطَّى المِسْكَ إلى الرَّماد ، ولا لأمتطِىَ الثَّوْر بعد الجواد ، فإنما يَتَيَمَّم من لم يجد ماء ، ويَرْعَى الهشيم[٦] ، مَنْ عَدِمَ الجميم[٧] ، ويَرْكَبُ الصَّعْب[٨] مَنْ لا ذلول له . ولعلك إنما غَرَّك مَنْ عَلِمْتَ صَبْوَتى إليه ؟ وشَهِدْتَ

---

(١) هو الفرزدق ، والبيت واضح أنه فى هجاء حى الحبطات ، فقومه بنو دارم إنما يصهرون إلى بنى مسمع ، أما الحبطات فيصهرون إلى من يناظرونهم فى الخسة .

(٢) عشيت : رفقت ، وهو مثل يضرب للأخذ بالثقة .

(٣) وافد البراجم : رجل من تميم أحرقه عمرو بن هند .

(٤) يقال إن المتلمس وفد على أحد ملوك الحيرة فى الجاهلية فكتب له صحيفة إلى عامل من عماله ، وتناولها المتلمس وهو يظنه كتب له بجائزة ، فأقرأها شخصاً ، وكان هو أميا ، فعرفه أنه يأمر عامله بقتله والتمثيل به .

(٥) عضل : منع من الزواج ، وكان همام بن مرة منع بناته الأربع من الزواج ، وخرجن على رغبته فضرب به وبهن المثل .

(٦) الهشيم : النبت اليابس .

(٧) الجميم : النبت الرطب .

(٨) الصعب : الجامح الذى لا يطيع ، فهو ضد الذلول .

مُسَاعَفَتى له ، من أقمار العَصْر ، ورَيْحان المِصْر ، الذين هُم الكواكب عُلُوّ هِمَم ، والرِّياضُ طيبَ شِيَم :

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُم مثلَ النجوم التى يَسْرِى[1] بها السَّارِى

فَيَحِنّ قِدْحٌ[2] ليس منها ، ما أنت وهُمْ ؟ وأنّى تقع منهم؟ وهل أنتَ إلا واو عمرو فيهم ، وكالوَشِيظَةِ[3] فى العَظْم بينهم .

وإن كنتَ إنما بَلَغْتَ قَعْرَ تابوتك[4] ، وتجافيت عن بعض قوتك ، وعَطَّرت أَرْدَانك[5] ، وجَرَرْتَ هِمْيانك[6] ، واختَلْتَ فى مِشْيَتِك ، وحَذَفْتَ فضول لِحْيَتِك ، وأَصْلَحْتَ شاربك ، ومَطَطْتَ حاجبك ، ورقَّقت خَطَّ عِذارِكَ[7] ، واستأنفت عَقْد إزارك[8] ، رجاءَ الاكْتفان فيهم ، وطمعاً فى الاعتداد منهم ، فظَنَنْتَ عَجْزاً ، وأخطأتَ الغرض . والله لو كَساك مُحَرِّقٌ[9] البُرْدَين ، وحَلَّتْكَ مارِيَةُ[10] بالقُرْطَيْن ، وقلَّدك عمرو[11]

(١) يسرى : من السرى وهو المشى ليلا ، والبيت لشاعر يسمى عبيد بن العرندس .

(٢) مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ، والقدح : أحد قداح الميسر .

(٣) الوشيظة : النتوء فى العظم .

(٤) كناية عن لزوم المنزل ، وقوله : وتجافيت عن بعض قوتك : أى أظهرت الكرم بما تستفضله من قوتك .

(٥) الأردان : الأكمام .

(٦) الهميان هنا :- السروال .

(٧) العذار : ما ينبت على الخد من الشعر .

(٨) كناية عن التجمل فى الثياب .

(٩) محرق : هو عمرو بن هند ملك الحيرة لقب بذلك لتحريقه مائة من العرب ، ويقال إن وفود العرب كانت عنده ، فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما .

(١٠) بنت ظالم زوجة أحد ملوك الغساسنة بالشام ، اشتهرت بقرطين أهدتهما إلى الكعبة .

(١١) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى اشتهر بسيفه الصمصامة وأدرك الإسلام وأسلم وأبلى

الصَّمصامة ، وحملك الحارث[١] على النعامة ، ماشكَكْتُ فيك ، ولا استترتَ[٢] أباك ، ولا كنتَ إلاَّ ذاك . وعَبْكَ سَامَيْتَهم فى ذِرْوَةِ المجد والحسَب ، وجاريتهم فى غاية الظَّرْف والأدب ، ألستَ تأوى إلى بيتٍ قَعيدته[٣] لَكاعٍ ، إذ كلهم عَزَبٌ خالى الذِّراع[٤] ، وأَيْنَ مَنْ أنفرد به ممن لا غلَبَ إلا على الأقلِّ الأخَسِّ منه . وهل يجتمع لى فيك إلا الحشَف وسوء الكِيلَة[٥] ، ويقترن علىَّ بك إلا الغُدَّة والموتُ فى بيت سَلُولِيّة[٦] .

تعـالى الله يا سَلْمَ بْنَ عَمْرٍو أذلَّ الحِرْصُ أعناق الرجالِ

ما كان أَخْلَقَك بأن تَقْدِرَ بذَرْعك[٧] ، وتَرْبَعَ بذلك على ظَلْعِك[٨] ولا تكن بَرَاقِشَ[٩] الدالَّةَ على أهلها وعَنْزَ السّوء المستثيرةَ بِظِلْفِها لحتفها ، فما أراك إلا سَقَط العَشَاء بك على سِرْحان[١٠] ، و بك لا بظَبْيٍ أَعْفَر[١١] . قد أعذرتُ إن أغنيتُ شَيًّا ، وأَسْمَعْتُ لو ناديتُ حَيًّا :

---

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد البكرى سيد وائل فى الجاهلية .

(٢) ولاستترت أباك : أى لم تخف أباك ، أى لم تخف شأنك ونسبك .

(٣) القعيدة : الزوجة ، واللكاع : اللئيمة .

(٤) خالى الذراع : لا يملك شيئاً كما يقال خالى اليد وهو كناية عن خلو اليد عن الزوجة .

(٥) مثل يضرب فى الخلتين السيئتين تجتمعان ، والحشف : أردأ التمر .

(٦) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عامر بن الطفيل فظهر فى رقبته غدة ومات فى بيت سلولية (من بنى سلول) فقال : غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية . والبيت التالى لأبى العتاهية .

(٧) تقدر بذرعك : تقيس الأمر بجهدك .

(٨) مثل يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه ، وتربع : تقيم ، والظلع : العرج فى البعير .

(٩) يشير إلى المثل : (جنتَ على أهلها براقش) وهى كلبة غزا أهلها قوم فلم يعرفوهم حتى نبحت ، فكانت شؤما عليهم .

(١٠) السرحان : الذئب .

(١١) مثل يضرب للشهامة ، والأعفر : الذى لونه لون العفر أى التراب .

إن العَصَا قُرِعَتْ لذى الحِلْمِ [١] والشىء تَحقِرُهُ وقد يَنْمِى [٢]

وإن بادرتَ بالنَّدامة ، ورجعت على نفسك بالملامة ، كنتَ قد اشتريت العافية لك ، بالعافية منك ، وإن قلتَ : جَعْجَعَةٌ ولا طِحْنٌ [٣] ، وربَّ صَلَفٍ تحت الرَّاعدة ، وأنْشَدْتَ :

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَدَّرَةٍ قولٌ تُفَلِّظُهُ وإن جَرَحَا [٤]

فُدْتَ لما نُهِيتَ عنه ، وراجعتَ ما اسْتَعْفَيْتَ منه ، بعثتُ من يُزْعِجك إلى الخضراء [٥] دَفْعا ، ويَسْتَحِثُّك نحوها وكْزاً [٦] وصَفْعاً ، فإذا صرتَ إليها عَبِثَ أَكَّارُوها [٧] بك ، وتسلَّط نواطيرها [٨] عليك ، ذلك بما قدَّمت يداك لتذوقَ وَبَالَ أَمْرِك ، وترى ميزانَ قَدْرِك :

فمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ منه ما لا يَرَى

٦ — الرسالة الجِدية

يامولاىَ وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به ، وامتدادى منه ، أبقاك الله ماضىَ حَدِّ العَزْم ، وارىَ [٩] زَنْدِ الأمل ، ثابتَ عهد النعمة . إن سلبتنى

---

(١) مثل للتحذير .

(٢) مثل للتحذير أيضاً ، والبيت للحارث بن وعلة الجشكرى .

(٣) مثل لمن يتوعد ولا يفعل ، والطحن : الطحين . ورب صلف تحت الراعدة : مثل آخر بنفس المعنى . والسحاب الصلف : كثير الرعد قليل الماء . والراعدة : السحابة .

(٤) البيت لبشار بن برد .

(٥) الخضراء : النواحى المزروعة .

(٦) الوكز : ضرب الظهر .

(٧) الأكارون : الفلاحون .

(٨) نواطير : جمع ناطور وهو البستانى .

(٩) الزند الوارى : الزند الجيد الذى تخرج منه النار .

— أعزك الله — لباسَ إنعامك ، وعطّلتنى من حَلْيِ إيناسك ، وأظمأتنى إلى بَرُود[١] إسعافك ، ونَفَضْتَ بى كفّ[٢] حياطتك ، وغَضَضْت عنى طَرْف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك ، وسمع الأصمُّ ثنائى عليك ، وأحسّ الجماد باستحمادى[٣] إليك ، فلا غَرْوَ قد يَغَصُّ بالماء شاربُه ، ويقتل الدواء المُستَشْفِىَ به ، ويُؤْتَى الحَذِرُ[٤] من مَأْمَنه ، وتكون مَنِيَّةُ المتمنِّى فى أُمْنِيَّته ، والحَيْنُ[٥] قد يَسْبِق جَهْدَ الحريص :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتى وتهونُ ، غَيْرَ شماتة الحُسَّاد

وإنى لأتجلّد ، وأُرِى الشامتين أنى لرَيْب الدَّهْر لا أَتَضَعْضَع ، فأقول[٦] : هل أنا إلا يدٌ أدْماها سِوَارُها ، وجَبِينٌ عَضَّه إكليلُه[٧] ، ومَشْرَفِىٌّ[٨] ألصقه بالأرض صاقِلُه ، وسَمْهَرِىٌّ[٩] عرضه على النار مُثَقِّفُه[١٠] ، وعبدٌ ذهب به سيده مذهب الذى يقول[١١] .

فقَسَا ليَزْدَجِرُوا ومَنْ يكُ حازمًا فَلْيَقْسُ أحياناً على مَنْ يَرْحَمُ

---

(١) برود : بارد ، استعار الماء للإسعاف .

(٢) كناية عن عدم عنايته به ، ونفضت : طرحت ، والحياطة : الرعاية .

(٣) استحماده : طلب حمده ، وفى رواية : باستنادى إليك .

(٤) مثل ومعناه واضح .

(٥) الحين : الموت ، والعبارة كلها مثل مشهور .

(٦) بعد أن بدأ الرسالة بالاستعطاف والتذلل ، أخذ يسرى عن نفسه بضرب الأمثال .

(٧) الإكليل : التاج .

(٨) المشرفى : السيف ، والصاقل : الحداد الذى يجلوه .

(٩) السمهرى : الرمح .

(١٠) مثقفه : صاقله وصانعه .

(١١) هو أبو تمام .

هذا العَتبُ محمودٌ عواقبُه ، وهذه النَّبْوَةُ[١] غَمْرَةٌ[٢] ثم تَنْجَلِى ، وهذه النَكْبَةُ سحابة صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّعُ[٣] ولن يَرِيبنى من سيدى أن أَبْطَأَسَيْبُه[٤] أو تأخَّر — غير ضَنِين — غَناؤه[٥] ، فأَبْطَأُ الدِّلاء فَيْضًا أملؤها ، وأثقلُ السحائبِ مَشيًا أَحْفَلُها[٦] ، وأنفع الحيا[٧] ما صادف جَدْبًا وألذُّ الشرَابِ ما أصابَ غليلا[٨] . ومع اليوم غد ، ولكل أَجَلٍ كتاب . لله الحمد على اهْتِباله[٩] ، ولا عَتْب عليه فى إغفاله :

فإن يكُنِ الفعلُ الذى ساءَ واحداً فأفعاله اللائى سَرَرْنَ أُلُوفُ

وأعود فأقول[١٠] : ليت شعرى ما هذا الذنب الذى لم يَسَعْه عَفْوُك ، والجهل[١١] الذى لم يَأْتِ من ورائه حلمك ، والتَّطَاوُل[١٢] الذى لم يستغرقه تطوُّلك[١٣] ، والتحامل الذى لم يَفِ به احتمالُك ، ولا أَخْلو من أن أكون بريئًا فأين العدْل؟ أو مُسِيئًا فأين الفضل ؟ :

إلاّ يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ واسِعٌ أوكانَ لى ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ[١٤]

---

(١) النبوة : الجفوة .

(٢) الغمرة : الشدة ، وهذا مثل يضرب لليسر بعد العسر .

(٣) مثل آخر بنفس المعنى ، وتقشع : تقلع .

(٤) السيب : العطاء .

(٥) الغناء المال والنفع .

(٦) أحفلها : أملؤها .

(٧) الحيا : المطر .

(٨) الغليل : شدة العطش .

(٩) الاهتبال : الاغتنام وإتاحة الفرصة .

(١٠) رجع ابن زيدون يتدس ويقيس ذنبه إلى الذنوب الكبيرة ليستصغره جهور ، فينال عفوه .

(١١) الجهل : الحمق .

(١٢) التطاول : الاستعلاء والتكبر .

(١٣) التطول : التفضل والإحسان .

(١٤) البيت من قصيدة للبحترى .

حَنَانيك [١] ! قد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى [٢] ، ونالنى ما حَسْبِي بهِ وكَفَى ، وما أَرانى إلا أُمِرْتُ بالسجود [٣] لآدم فأَبَيْتُ واسْتَكْبَرْتُ ، وقال لى نوح ارْكَبْ معنا [٤] فقلت « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » وأُمِرْتُ ببناء الصَّرْح [٥] لعلى أَطَّلِعُ إلى إله موسى ، وتَكَفَّتُ على العِجْل [٦] واعْتَدَيْتُ فى السَّبْت [٧] ، وتعاطيت فعقَرْتُ [٨] ، وشَرِبْتُ من ماء النهر الذى ابْتُلِيَ به جنود [٩] طالوت ، وقُدْتُ الفيل لأَبرَهة [١٠] ، وعاهدت قريشاً على ما فى الصحيفه [١١] ، وتأوَّلتُ فى بيعة [١٢] العَقَبة ، وانخَذَلْتُ بثُلُثِ الناس يوم أُحُد [١٣] ، ونفَرْتُ إلى العير [١٤] بَدْر ، وتخلّفتُ عن صلاة العصر فى بنى قُرَيْظَةَ [١٥] ، وجئْتُ لإفك [١٦] على

---

(١) حنانيك : رحمتك .

(٢) مثل يضرب حين يتفاقم الأمر ، والزبى . جمع زبية ، وهى الحفرة فى المكان المرتفع .

(٣) يشير إلى استكبار إبليس عن السجود لآدم .

(٤) يتمثل بقصة نوح حين فاض الطوفان فقال لابنه اركب معنا فعصاه ، فقال كما فى القرآن الكريم « سآوى إلخ » فغرق .

(٥) يشير إلى قصة فرعون وأنه أمرهامان أن يبنى له صرحاً أى قصراً عالياً لعله يرى إله موسى .

(٦) قصة العجل الذى عمده بنو إسرائيل حين تأخر عليهم موسى معروفة .

(٧) حرم موسى على قومه أن يصيدوا فى يوم السبت .

(٨) يشير إلى قصة ناقة صالح وعاقرها أو قاتلها وكيف « دمدم عليهم ربهم بذنبهم » .

(٩) كان طالوت قد حرم على قومه الشرب من نهر فخالفوه ووقعوا فى الإثم .

(١٠) يشير إلى قصة أبرهة عامل اليمن من قبل النجاشى وخروجه فى جيش لهدم الكعبة .

(١١) هى الصحيفة التى كتبتها قريش وتعاهدت فيها على مقاطعة الرسول .

(١٢) بيعة العقبة : بيعة مشهورة بين الرسول وأصحابه ، وقد يفهم من كلامه أن بعض الصحابة تأول فيها وهو ما لم يحدث مطلقاً .

(١٣) يشير إلى واقعة أحد حين انخذل عن رسول الله ابن سلول ومن معه من المنافقين ، ورجعوا بنحو ثلث الجيش .

(١٤) العير : الإبل تحمل عروض التجارة أو الميرة ، وهو يشير إلى غزوة بدر الكبرى وكان أبو سفيان عرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيتعرض لقافلته فأرسل إلى قريش يستنفرها ، فجاءته بجيش ودارت عليها الدوائر .

(١٥) أمر رسول الله أصحابه بعد غزوة الخندق أن يصلوا العصر فى بنى قريظة . على أن من تخلف لم يعتبر هذا ذنباً له ! .

(١٦) قصة الإفك والكذب على السيدة عائشة رضى الله عنها مشهورة .

عائشة الصِّدِّيقيَّة ، وأَنِفتُ من إمارة أُسامة[١] ، وزعمت أن بيعة أبي بكر كانت فَلْتَة[٢] ، ورويْتُ رمحي من كتيبة خالد[٣] ، ومزَّقْتُ الأديم[٤] الذي باركت يَدُ الله عليه ، وضحَّيْتُ بالأشْمَط[٥] ، الذي عنوانُ السجود به ، وبذلت لقَطام[٦] :

ثلاثةَ آلافٍ وعَبْدًا وقَيْنَةً وضَرْبَ عليٍّ بالحُسَامِ المُسَمَّمِ

وكتبتُ إلى عمر[٧] بن سَعد : أنْ جَعْجِعْ[٨] بالحُسَين ، وتمثَّلتُ عند ما بلغني من وَقْعَة الحرَّة[٩] :

ليت أَشْياخي ببَدْرٍ عَلِمُوا جَزَعَ الخَزْرج من وَقْع الأَسَلْ

ورَجَمتُ الكعبة ، وصَلبتُ العائذ[١٠] بها على الثَّنِيَّة — لكان[١١] فيما جَرَى عليّ ما يَحْتمل أن يُسَمَّى نَكالا ، ويُدْعَى ولو على المجاز عقابا :

---

(١) يشير إلى ما يروى من أن بعض الصحابة غضب حين ولى عليهم أسامة .

(٢) قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، ولم يرد بقوله سوءاً بأبي بكر ، فمن الخطأ أن يتمثل فى الذنوب بهذه العبارة .

(٣) يشير إلى من حاربو خالداً فى أيام الردة .

(٤) يشير إلى قتل عمر وقول الشاعر فى رثائه :

جزى الله خيراً من إمام وباركت يد الله فى ذاك الأديم الممزق

(٥) الأشمط : الذى فى شعره بياض يخالطه سواد ، وهو يقصد عثمان مشيرا إلى مقتله وفيه يقول حسان :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

(٦) قطام : صاحبة ابن ملجم قاتل على بن أبي طالب .

(٧) يشير إلى قتل الحسين ، وأخطأ ابن زيدون لأن الذى كتب إليه هو الحرّ بن يزيد التميمى لا عمر بن سعد .

(٨) جعجع : ضيق الخناق .

(٩) المتمثل هو يزيد بن معاوية ، تمثل بهذا البيت لابن الزبعرى الذى نظمه فى واقعة أحد ، وذلك حين علم بهزيمة جيوشه لأهل المدينة الخارجين عليه .

(١٠) يشير إلى رجم الحجاج الكعبة بالمنجنيق وقتله للعائذ بها ، وهو عبد الله بن الزبير ، على الثنية وهى طريق الكعبة .

(١١) جواب « لو » المذكورة فى السطر الثانى من الصفحة السابقة .

وحَسْبُك من حادثٍ بامرىء ترَى حاسِديه له رَاحِمِينا

فكيف [١] ولا ذنبَ إلا نميمةٌ أهداها كاشِحٌ [٢] ونبأ جاء به فاسقٌ . وهمُ الهمَّازون [٣] المشَّاءون [٤] بنَميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يَصْدَعوا العصا [٥] ، والفُوَاة الذين لا يتركون أديماً [٦] صحيحاً ، والسُّعَاة الذين ذكرهم الأحنف بن قَيْسٍ فقال . ما ظنُّك بقومٍ الصدقُ محمودٌ إلا منهم :

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مَذهَبُ [٧]

والله ما غَشَشْتُك بعد النصيحة ، ولا انحرفتُ عَنْك بعد الصَّاغية [٨] ، ولا نَصَبْت [٩] لك بعد التشيُّع ، ولا أَزْمَعْتُ [١٠] يَأساً منك مع ضَمانٍ تكفَّلتْ به الثِّقَةُ عنك ، وعَهْدٍ أخذه حُسْنُ الظَّنِّ عليك ، ففيم عَبِثَ الجفاء بأَذِمَّتي [١١] وعاث العقوقُ في مَتاتي [١٢] ؛ وتمكَّن الضياع من وسائلي ؟ ولِمَ ضاقَتْ مذاهبي : وأَكْدَت [١٣] مطالبي؟ وعلام رَضِيتُ من الأَمْرِ كَبَ بالتعليق [١٤] ، بل من الغنيمة

---

(١) أخذ يبرىء نفسه من التهمة التي دسها عليه النمامون والواشون كذباً .
(٢) كاشح : عدو .
(٣) الهمازون : من الهمز وهو الغيبة .
(٤) المشاءون : الساعون بالنميمة .
(٥) كناية عن التفريق .
(٦) الأديم : الجلد ، كناية عن الشخص كله .
(٧) البيت للنابغة .
(٨) الصاغية : الميل .
(٩) نصبت لك : عاديتك
(١٠) أزمع : أقدم .
(١١) الأذمة : الحرمات ، جمع ذمام .
(١٢) المتات : ما يتوصل به الإنسان إلى آخر من رحم أو قرابة وفي رواية : في مودتي .
(١٣) أكدت : بخلت .
(١٤) يريد أنه يكتفي من الركوب بتعليق الأمتعة .

بالإياب[١] ، وأنّى غَلَبنى المُغَلَّب[٢] ، وفخر علىّ العاجز الضعيف، ولَطَمَتْنى غَيْرُ ذات سِوَار[٣] ! . ومالك لا تَمْنَع منى قبل أن أُفْتَرَسَ ، وتُدْرِكَنى ولما أمزق. أم كيف[٤] لا تتضرّم جوانحُ الأكْفاء[٥] حَسَداً لى على الخصوص بك ، وتتقطّع أنفاسُ النُّظَراء منافسةً فى الكرامة عليك ، فكيف وقد زانَنى رَسمُ خِدْمَتك ، وزهانى وَسْمُ نعمتك ، وأبْلَيْتُ البلاء الجميل فى سِماطك[٦] ، وقمت المقامَ المحمود على بساطك :

أَلستُ المُوَالى فيك غُرَّ قصائدٍ هىَ الأنجمُ اقتادت مع اللَّيْل أَنْجُمَا
ثناءٌ يُظَنُّ الرَّوْضُ مِنه مُنَوَّرًا ضُحًى ويُخَالُ الوَشْىُ فيه مُنَمْنَمَا[٧]

وهل لبسَ الصباحُ إلا بُرْدًا طرَّزْتَه بفضائلك ، وتقلَّدَتِ الجَوْزاء إلا عِقدًا فصَّلْتَه بمآثرك ، واسْتَمْلَى الرَّبيعُ إلا ثناءَ ملأْتَه بمحاسنك ، وبثَّ المسكُ إلا حَدِيثاً أذَعْتَه فى محامدك ؟ . ما يوم حليمةَ بسرٍ[٨] ، وإن كنت لم أَكْسُكَ سَلِيباً ، ولا حَلَّيْتُك عُطْلاً ، ولا وَسَمْتُك غُفْلاً ، بل وجدت آجُرًّا وجِصًّا فبنيتُ ، ومكانَ القول ذا سَعة فقلتُ . حاشَ لك أنْ أُعَدَّ من العاملة الناصبة[٩] ،

---

(١) يشير إلى قول امرىء القيس :

لقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(٢) المغلب : الضعيف .

(٣) فى المثل لوذات سوار لطمتنى ، ويقصد أن اللاطم ضعيف .

(٤) انتقل ابن زيدون إلى بيان إخلاصه للممدوح وكيف كان من مداحه وخاصته .

(٥) الأكفاء : النظراء .

(٦) السماط : الصف .

(٧) البيتان من قصيدة للبحترى .

(٨) مثل يضرب فى كل أمر مشهور .

(٩) يشير إلى قوله تعالى « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية » .

وأكونَ كالذبالة المنصوبة تُضيء للناس وهى تحترق[١]، فلك المثل الأعلى ، وهو بك ، وبى فيك ، أَوْلى .

ولعمرك ما جهلت أن صريح الرَّأى أن أتحوَّل[٢] إذا بلغتنى الشمسُ ونبأ بِيَ المَنْزِل ، وأصفحَ[٣] عن المطامع التى تقطِّع أعناق الرجال ، ولا أَسْتَوطِىء العجز ، ولا أُطمئنَّ إلى الغرور ، فيُضْرَبَ بى المثل : خامِرِى أمَّ عامرٍ[٤] . وإنى مع المعرفة بأن الجَلاء[٥] سِباء ، والنُّقلَة مُثْلَة[٦] :

ومَنْ يَغْتَرِبْ عن قومه لم يَزَلْ يرى مصارعَ مظلومٍ : مَجَرًّا ومَسْحَبَا
وتُدْفَنُ منه الصالحاتُ ، وإن يُسىء يَكُنْ ما أساء النارَ فى رأسِ كَبْكَبَا[٧]

لعارفٌ أن الأدبَ الوطنُ الذى لا يُخْشَى فِراقُه ، والخليطُ الذى لا يُتوقَّع زِيالُه ، والنسبُ الذى لا يُجْفَى ، والجمال الذى لا يَخْفَى . ثم ما قِرانُ السَّعْد بالكواكب أبهَى أثَراً ، ولا أَسْنَى خَطَراً ، من اقترانِ غِنَى النَّفْس به ، وانتظامِها نَسَقاً معه ، فإن الحائزَ لهما الضاربَ بسَهْمٍ فيهما — وقليلٌ ماهُمْ — أينما توجَّه وردَ أعذب مَنْهَلَ ، وحَطَّ فى جَناب قَبول فنزل ، وضُوحِكَ قبل إنزال رَحْله ، وأُعْطِىَ حُكْمَ الصَّبِىِّ على أهله :

---

(١) فكر قول العباس بن الأحنف :

صرت كأنى ذبالة نصبت تضيء للناس وهى تحترق

(٢) هنا ثارت نفس ابن زيدون ، فأخذ يهدد بفراقه للوطن ، وأنه لا يصبر على الهوان .

(٣) أصفح : أضرب وأعرض .

(٤) خامرى : استترى ، وأم عامر : الضبع . وهو مثل يضرب لمن عرف الدنيا ومصيرها وتقاباتها ومع ذلك لا تزال نفسه متعلقة بها .

(٥) الجلاء : النزوح عن الوطن ، والسباء : السبى والأسر .

(٦) مثلة : نكال وعقاب .

(٧) كبكب : اسم جبل بعينه ، وهو الجبل الذى تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفات (عن معجم ما استعجم) . والبيتان الأعشى .

وقيل له : أهلاً وسَهْلاً ومَرْحَباً فهٰذا مَبِيتٌ صالحٌ ومَقِيلُ[١]

غيرَ أن الوطن محبوبٌ[٢] والمنشأ مألوف ، واللبيبَ يَحِنُّ إلى وطَنه ، حنينَ النجيبِ[٣] إلى عَطَنِه ، والكريمُ لا يَجْفُو أرْضاً فيها قَوَابِلُهُ[٤] ، ولا يَنْسَى بَلَداً فيها مَراضعه ، قال الأول[٥] :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ مابين مَنْعِجٍ[٦] إليَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ[٧] سَحَابُها

بلادٌ بها حَلَّ الشَّبَابُ تمائمِي[٨] وأوَّلُ أرض مَسَّ جِلْدِي ترابُها

هذا إلى مغالاتى بعَقْد[٩] جِوارك ، ومنافستى فى الحظِّ من قُرْبِك ، واعتقادى أن الطمع فى غيرك طَبَع[١٠] ، والغِنى من سواك عَنَاء ، والبَدَل منك عَوَز[١١] ، والعِوَض لَقَاء[١٢] :

وإذا نَظَرْتُ إلى أَمِيرى زادَنى ضَنًّا به نظرى إلى الأُمَرَاءِ[١٣]

---

(١) مقيل : من القيلولة وهى هنا تقابل «مبيت» فيرادبها قضاء اليوم كله . والبيت لعمرو بن الأهتم.

(٢) هدأت ثورة ابن زيدون فأخذ يعلن أنه لن يزايل جوار جهور ولا مدينته التى هى وطنه و بلده .

(٣) النجيب : الكريم من الإبل ، والعطن : مبارك الإبل حول الماء .

(٤) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تستقبل المولود عند نزوله .

(٥) يروى هذا البيت لأعرابية من طيء وفى رواية ثانية أنه لأبى النضير الأسدى وفى رواية ثالثة أنه للرقاع بن قيس الأسدى . انظر سمط اللآلى للبكرى ١ / ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٦) منعج : موضع .

(٧) يصوب : يهطل .

(٨) التمائم : جمع تميمة وهى العوذة التى تعلق على الصبى لاتقاء الحسد .

(٩) العقد : الضمان والعهد .

(١٠) طبع : دناءة وخسة .

(١١) عوز : فاقة .

(١٢) لفاء : خسة .

(١٣) البيت لعدى بن الرقاع .

وكلُّ الصَّيْد فى جَوْف[١] الفَرَا ، وفى كل شجرةٍ نار ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار[٢] .

فما هذه البراءة[٣] ممن يتولَّاك ، والمَيْلُ عَمَّنْ لا يميل عنك ، وهلَّا كان هواك فيمن هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه لك :

يا مَنْ يَعِزُّ علينا أن نفارقَهُمْ ... وِجْدَانُنَا كلَّ شىء بعدكم عَدَمُ[٤]

أُعيذك ونفسى من أن أَشِيم[٥] خُلَّباً ، وأَسْتَمْطِرَ جَهَاماً[٦] ، وأَكْدِمَ فى غير مَكْدَم[٧] ، وأشكو شَكْوَى الجريح إلى العِقْبان والرَّخَم[٨] . وإنما أَبْسَتُ[٩] لك لتَدُرّ ، وحرَّكتُ لك الحُوَار[١٠] لتحنّ ، ونَبَّهتك لأنام ، وسَرَيْتُ إليك ، لأَحْمَدَ السُّرَى لديك ؛ بعد اليقين أنك إن سَنَّيْتَ[١١] عَقد أمرى تيسَّر ، ومتى أَعْذَرْتَ[١٢] فى فَكِّ أسرِى لم يَتَعَذر . وعِلْمُك محيطٌ بأن المعروف ثمرةُ النعمة والشفاعة زكاةُ المروءة ، وفضل الجاه ، تعود به ، صَدَقة :

---

(١) مثل يضرب فى الشىء الذى يفضل غيره ، والفرا : حمار الوحش .

(٢) نفس معنى المثل السابق ، والمرخ والعفار : نوعان من الشجر سريعا الاتقاد ، واستمجدا : زادا نارا واحتراقا .

(٣) رجع ابن زيدون يستعطف ابن جهور متذللا خاضعاً لعله يلين له .

(٤) البيت للمتنبى .

(٥) شام خلبا : نظر إلى برق لا يصحبه مطر .

(٦) الجهام : السحاب لا غيث فيه .

(٧) مثل يضرب لمن يطلب الشىء من غير موضعه ، والكدم : العض .

(٨) نثر ابن زيدون هنا قول المتنبى :

ولا تشكُّ إلى قوم فتشمتهم ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

والعقبان : جمع عقاب ، والرخم : من جوارح الطير كالنسور .

(٩) أبست : رفقت . وتدر : تسيل ، كناية عن تحوله إلى الرضا .

(١٠) الحوار : ولد الناقة .

(١١) سنى : سهل .

(١٢) أعذر : طلب العذر .

وإذا امرؤٌ أهْدَى إليك صَنِيعةً من جاهه فكأنها مِن ماله[١]

لعلى أُلْقِى العصا بذَرَاكَ[٢]، وتستقرّ بىَ النَّوَى فى ظِلِّك، وأستأنف التأدُّبَ بأدبك، والاحتيالَ على مذهبك، فلا أُوجِدَ للحاسد مجال لحظة، ولا أدعَ للقادح مَساغَ لفظة. والله شهيدك من إطلابى[٣] بهذه الطَّلِبة، وإشْكائى[٤] من هذه الشَّكْوَى، بصنيعةٍ تُصِيبُ منها مكان المَصْنَع[٥]، وتَسْتَودِعُها أحفظ مُستَوْدَع، حسبما أنت خليقٌ له، وأنا منك حَرِيٌّ به، فذلك بيدك، وهَيِّنٌ عليك.

ولما توالت غُرَرُ هذا النَّثْر، وانَّسَقَتْ دُرَرُه، فَهَزَّ عِطْفَ غُلَوائه، وجَرَّ ذَيْلَ خُيَلائه، عارضه النظم مباهيا، بل كايده مُدَاهيا، حين أشفق من أن يَعْطِفك استعطافُه، وتميل بنفسك أَلْطافه، فاستحسن العائدة[٦] منه، واعتدَّ بالفائدة له فما زال يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ العليل، والخاطر الكليل، حتى زَفَّ إليك عروسًا مجلوة فى أثوابها، منصوصةً[٧] بحُلْيِها ومَلابها[٨]، وها هى:

الهوَى فى طُلُوعِ تلك النجومِ والمُنَى فى هبوبِ ذاك النسيمِ
سرَّنا عَيْشُنا الرَّقيق الحواشى لو يدومُ السرورُ المُسْتَدِيمِ

---

(١) البيت لأبى تمام.

(٢) الذرى: الكنف والجانب.

(٣) إطلابى: من أطلبه أى أعطاه ما طلبه.

(٤) إشكائى: إزالة شكواى.

(٥) المصنع: الصنع والمعروف، مصدر ميمى.

(٦) العائدة: النفع.

(٧) منصوصة: مجلوة.

(٨) الملاب: الزعفران.

وَطَرٌ ما انقَضَى إلى أَنْ تَقَضَّى زَمَنٌ ما ذِمامُهُ[١] بالذَّميم
إذْ خِتَامُ الرِّضَا المَسَوَّغِ مِسْكٌ ومِزَاجُ الوصال من تَسْنِيم[٢]
وغَرِيضِ[٣] الدَّلالِ غَضٌّ[٤] جَنِيِّ الصَّبْـــوَةِ نَشْوَانَ من سُلاف النَّعيم
طالما نَافَرَ الهَوَى منه غِرٌّ لم يَلُلْ عَهْدُ جيدِه بالتَّميم[٥]
زَارَ مُسْتَخْفِياً وهيهات أن يَخْـــفَى سُرَى البَدْرِ فى الظَّلام البهيم
فوَشَى الحَلْيُ إذ مَشَى وهَفَا الطِّيـــبُ إلى حِسِّ كاشحٍ بالنَّميم
أيُّها المُؤْذِنِى بظُلْمِ اللَّيَالى ليس يومى بواجدٍ[٦] من ظَلُومِ
قَمَرُ الأُفْقِ إن تأمَّلْت والشمـــسُ، هما يُكْسَفَان دون النجومِ
وهُوَ الدهرِ ليس ينفكُّ يَنْحُو بالمُصَابِ العَظِيم نَحْوَ العَظِيم
بَوَّأَ اللهُ جَهْوَرًا شرف السُّؤْ دُدِ فى السَّرْوِ[٧] واللُّبابِ الصَّميم
واحِدٌ سَلَّمَ الجميع له الأَمْـــرَ فكان الخصوصُ وَفْقَ العُموم
قَلَّدَ الغُمْرُ[٨] ذا التجاربِ فيهِ واكْتَفى جاهلٌ بِعِلْمِ العَلِيمِ
خَطَرٌ[٩] يَقْتَضِى الكمال بنَوْعَىْ خُلُقٍ بارعٍ وخَلْقٍ وَسِيمِ[١٠]

---

(١) الذمام : العهد .
(٢) التسنيم : عين بالجنة، وفى القرآن الكريم « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم » .
(٣) غريض الدلال : مملوء به .
(٤) غض : ناضر .
(٥) التميم : التميمة وهى العوذة .
(٦) واجد : حاقد .
(٧) السرو : الشرف .
(٨) الغمر : قليل التجربة .
(٩) خطر : شرف .
(١٠) وسيم : وقور .

أَيُّهٰذَا الوزيرُ ها أنا أشكو والعَصَا بَدْءُ قَرْعِها للحَلِيمِ[١]
أفَصَبْرٌ مِئِينَ خَمْسًا[٢] من الأيَّـــام ناهيك من عَذَابٍ أليمِ
ومُعَنًّى من الضَّنَى بهَنَاتٍ نكأَتْ[٣] بالكُلُومِ قَرْحَ الكُلُومِ
سَقَمٌ لا أُعادُ[٤] فيهِ وفى العـا ئدِ أُنْسٌ يَفِي ببُرْءِ السَّقِيمِ
نارُ بَغْيٍ مَرَى إلى جَنَّةِ الأَمْـ ـنِ لَظاها فأصبحتْ كالصَّرِيمِ[٥]
بأبِي أنت إن تَشَأْ تَكُ بَرْدًا وسلاماً كنـــار إبراهيمِ
للشَّفِيعِ الثناء ، والحمدُ فى صَوْ بِ الحَيَا[٦] للرياح لا لِلْغُيُومِ
وزعيمٌ[٧] بأَنْ يُذَلِّلَ لى الصَّعْـــبَ مَثَابِى[٨] إلى الهُمام الزعيمِ
ووِدادٌ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ ما شا ءَ ويَبْقَى بقاءَ عَهْدِ الكريمِ
وثنـــاءٌ أَرْسَلْتُهُ سَلْوَةَ الظَّا عِنِ عَنْ شَوْقِهِ[٩] ولَهْوَ المُقِيمِ
فَهْوَ رَيحانَةُ الجليسِ ، ولا فَخْـ ـرَ ، وفيه مِزَاجُ كأسِ النَّدِيمِ
ومَتَى تَبْدَأ الصنيعةَ يُولِعْـــكَ تمامُ الخِصَـــالِ بالتَّتْمِيمِ

ها كها — أعزَّك الله — يبسُطها الأمل ، ويَقْبِضُها الخجَل ، لها ذَنْب التقصير ، وحُرْمة الإخلاص ، فهَبْ ذَنْباً لحُرْمة ، واشْفَع نعمةً بنعمة ، ليتأتَّى لك الإحسانُ من جهاته ، وتَسْلُكَ إلى الفضل من طُرُقاته ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) تضمين للمثل المشهور « إن العصا قرعت لذى الحلم » .
(٢) إشارة إلى أنه قضى فى السجن خمسمائة يوم .
(٣) نكأ : أدمى ، والكلوم : الجروح ، والقرح : ما بالجرح من فساد .
(٤) أعاد : أزار .
(٥) الصريم : الليل الأسود .
(٦) الحيا : الغيث .
(٧) زعيم ، كفيل .
(٨) مثابى : رجوعى .
(٩) يقول إن مدحه فيه سار على ألسنة الناس ، فأصبح سلوة الظاعن أى الراحل ومسرة المقيم .

أهم المراجع

ديوان ابن زيدون نشر كامل كيلانى وعبد الرحمن خليفة .

تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون للصفدى .

سرح العيون شرح رسالة ابن زيدونَ لابن نباتة .

الذخيرة لابن بسام ، المجلد الأول ، من القسم الأول .

قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى .

المغرب فى حلى المغرب (طبع دار المعارف) .

نفح الطيب للمقرى (طبع ليدن) .

A. Cour, Un poète Arabe d'Andalousie : Ibn Zaidoûn.

A.R. Nykl, Hispano-Arabic poetry.

obeikandl.com